دليل الحيارى

في الرد على اليهود والنصارى

تأليف

آية الله العظمى المرحوم

السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي «قدس سره»

تقديم وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الحيارى

في

الرد على اليهود والنصارى

تأليف

آية الله العظمى المرحوم

السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي قدس سره

ترجمة

العالم الفاضل الشيخ ميرزا محمد

ابن المرحوم ميرزا صادق الخليلي

تقديم وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

رقم الإصدار: ١٣

مؤسسة إحياء التراث الشيعي
www.turathshiai.com
E-mail:info@turathshiai.com
النجف الأشرف
شارع الرسول ﷺ، محلة الحويش، الزقاق: ٥٤، الدار: ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و٣٣٢٨١٣
ص.ب ٥٨٨

دليل الحيارى في الرد على اليهود والنصارى

آية الله العظمى المرحوم السيد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي قدس سره

ترجمه إلى العربية

الشيخ ميرزا محمّد ابن المرحوم ميرزا صادق الخليلي قدس سره

تقديم وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

رقم الإصدار: ١٣

السعر: ١٠٠٠ دينار

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

الطبعة الأولى: شعبان المعظم ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

منذ بدايات القرن الماضي احتدم الصراع العقائدي والفكري بين التيارات الدينية المختلفة، بل أخذ هذا الصراع مساراته التنظيمية بشكل أثار توجسات المسلمين ومخاوفهم، ففي تلك الفترة نشطت الحركات التبشيرية التي تقودها الكنيسة وسعت إلى التغلغل في الوسط الإسلامي بأشكالٍ مختلفة وكانت معاناة الشباب الذين تعرضوا إلى مثل هذه الحملات المسعورة تصل أوجها بسبب ما كانت تشعر هذه الطبقات من عدم صحة هذه التبشيرات العقائدية إلاّ أنها لا تملك أدلة هذه الرؤية ولعلها كانت تُهزم بسبب هذا النقص المعلوماتي الشديد، ولم يكن في وسع أحدٍ التصدي لمثل هذه المشكلة، فالمسلمون كانوا يعانون من جهل في ثقافتهم المعرفية وما كان يتوجب عليهم من رد اشكالات التبشيريين، وكان عمدة ما لديهم من ثقافةٍ هي الرفض لكل ما يُطرح لكن لم يكن على أساس علمي تنظيري.

لم تطل هذه المعاناة بعد أن تصدى علماء الإمامية إلى الرد على

تخرصات هؤلاء اليهود والنصارى الذين حاولوا العبث في عقائد المسلمين، فقد عمد ـ مثلاً ـ آية الله المرحوم الشيخ محمّد جواد البلاغي إلى اعتماد الحركة الميدانية والنزول إلى المجتمع اليهودي والذي كان يتركز في بغداد العاصمة آنذاك فاطلع على بعض شؤونهم وأتقن مقداراً من لغتهم العبرية ليطّلع على بعض كتبهم وسعى إلى محاججاتهم حتّى أوقف مساعيهم الهادفة إلى بث عقائدهم وذلك بتأليفه كتابيه (الهدى إلى دين المصطفى)، و(المدرسة السيارة)، وكان الثاني على أساس حواري يفهمه الجميع أوضح ـ في مشروعية الآنفين الذكر ـ تلك الاشكالات التي تؤخذ على عقائد هؤلاء وناقش طروحاتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد حتّى كان لآية الله المرحوم السيد محمّد جواد التبريزي باعٌ في هذا الأمر فقد عمد إلى الرد على هذه التخرصات وسعى إلى جمع الأدلة التي تعين الآخرين في التصدي إلى تخرصات الحملات التبشيرية والمشاركة في تنمية ثقافة المجتمع في هذا الخصوص، فكان لكتابه (دليل الحيارى في الرد على اليهود والنصارى) أهميته من هذا الجانب، فقد أوضح في مقدمته دواعي التأليف لهذا الكتاب وهو (هداية التائهين إلى أحقية الحق وإيضاح واقعية الإسلام) وكان عمله فعلاً السعي إلى تحقيق هذا الهدف، فكان في مجالسه التي وزع الكتاب عليها إرشاد أولئك المتصدين لهذه المهام في العمل على هداية الناس وبيان مساوئ عمل هؤلاء المنحرفين من اليهود والنصارى للإنجيل والتوراة وكان لحركة القساوسة في التمسك بالكتب المحرفة والأخذ بها وجعلها

دليلاً على عقائدهم أثره في بطلان هذه العقائد وضرورة الرجوع إلى رشدهم في العدول إلى الدين الحق والتصديق برسالة النبي محمّد ﷺ.

وكانت أهمية هذا العمل الثقافي المهم حافزاً في دفع مؤسستنا للتصدي لطباعة الكتاب ونشره ليساهم في رفد الثقافة الإسلاميّة وبيان أحقية الإسلام في ضوء معطيات رسالته الإلهية الحقة.

ترجمة المؤلف قدس سره:

ننقل هذه الترجمة عن كتاب (نزهة الخاطر) للمرحوم الشهيد السيد حسن القبانجي رحمه الله صهر المؤلف، وهو كتاب خطي يوجد في مكتبتنا قد جمع فيه مؤلفه بعض النكات العلمية والفلسفية والحكمية، ومن المسائل الفقهية النادرة، وفقنا الله تعالى لطبعه ونشره.

«الإمام الفقيه العلامة السيد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي النجفي أدام الله تعالى ظله.

عالم من علماء النجف في التدريس والإفتاء، تخرّج على يديه مئات من العلماء والفضلاء في الفقه والفلسفة الشرقية، وهو شيخي وسندي وأستاذي في العلوم الإلهية، ينتمي إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام واسطة هكذا:

هو محمّد الجواد بن محمّد تقي بن أبي القاسم بن عليّ أصغر الشهير بـ(شيخ الإسلام) بن تقي القاضي بن محمّد القاضي بن محمّد

علي القاضي بن صدر الدين محمّد بن يوسف الشهير بـ (نقيب الأشراف) بن صدر الدين بن محمّد بن مجد الدين بن إسماعيل بن عليّ أكبر المعروف بـ (مير شاه) بن الأمير عبد الوهّاب شيخ الإسلام بن الأمير عبد الغفار شيخ الإسلام بن عماد الدين المير الحاج بن فخر الدين الحسن بن كمال الدين محمّد بن السيد الحسن بن شهاب الدين عليّ بن عماد الدين بن عليّ بن أحمد بن عماد بن أبي الحسن عليّ بن أبي الحسن محمّد بن أبي عبد الله أحمد بن محمّد الأصغر ويعرف بـ (ابن الخزاعيّة) بن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم الطباطبائي بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى بن الإمام أبي الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام، وأم إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ولد المترجم له في تبريز يوم الحادي عشر من شوال سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة.

اشتغل هناك في العقد الأوّل من عمره في الأدب الفارسي على الأديب محمّد حسين الترك، ثمّ أخذ في الأدب العربي ودخل في المدرسة الطالبية، وهي أكبر مدارسها، فاشتغل فيها في العلوم العربية من النحو والبلاغة والمنطق. ثمّ في الفقه والأصول، وكان مشتغلاً بهما إلى نهاية العقد الثاني من عمره.

ولما بلغ العشرين من عمره وقع في تبريز قحط عظيم استعقبه

مرض الحرارة عم الخلايق، وما بقي دار إلاّ وقد دخلها المرض، ومات خلق كثير بتلك المخمصة والمرض، وقد ابتلى المترجم له وعائلته بأجمعهم بالمرض واحداً بعد واحد، وقد منّ الله تعالى على الجميع بالعافية إلاّ أمه فإنها توفيت بذلك المرض، وبما أنه كان كثير الأنس وشديد العلاقة بها لأنها كانت تساعده في اشتغاله أكثر من والده، وتحبّه حبّاً شديداً، استوحش بعد وفاتها من الأهل والوطن وأخذ في الإلحاح والإصرار الأكيد على والده طالباً منه أن يوجهه إلى العراق، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

عج للمسير وسر في البيد والقلل
إنّ العلى في متون الأنيق الذلل

خض في الفلا واصحب الآساد في أجم
واترك مغازلة الغزلان للغزل

لو كان للمرء من عزّ ومكرمةٍ
في داره لم يهاجر سيد الرسل

ولما رأى والده ذلك منه وطّن نفسه على مفارقته، وهيّأ أسباب مسافرته إلى العراق، وكان ذلك في أوائل جمادى الثانية سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف الهجري، وبعد أن قاسى متاعب السفر أربعين يوماً ورد إلى النجف، واختلف إلى الأساتذة والمشايخ، وحضر أبحاثهم في المنقول والمعقول.

أساتذته:

فمن مشايخه في الدراية والرجال:

السيد الإمام أبو تراب الخونساري ﷺ، ومن مشايخه أوّلاً في الفقه والأصول العلاّمة الحجة الشيخ عليّ الايرواني ابن أخ الإمام الفاضل الايرواني، وأخيراً حضر على الإمام العلامة الأصولي محمّد الحسين النائيني أعلى الله مقامه.

وكان ضالته المنشودة فأخذ في تحرير أبحاثه الفقهيّة وتقرير مبانيه الأصولية، وكان ملازماً لأبحاثه مدّة تقرب من خمس عشرة سنة إلى أن انتقل إلى رحمة الله.

وأما مشايخه في المعقول، فمنهم: الإمام الزاهد الشيخ إسماعيل المحلاتي، والعلامة الأستاذ الشيخ أحمد الآشتياني نجل الإمام الشيخ حسن الآشتياني مؤلف التعليقة المعروفة على الرسائل.

وأما العلامة الفقيه السيد حسن الصدر الكاظمي، والعلامة البحاثة الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، والمحدث الثقة الشيخ عبّاس القمي مؤلف (السفينة) فمشايخه في الإجازة فقط.

تراثه العلمي:

وأما تأليفاته كما أفاد وحسب إطلاعي:

١ _ أصول مباحث الألفاظ، والمباحث العقلية، تقريرات النائيني.

٢ _ تقريراته الفقهية في المكاسب.

٣ _ كتاب ماء وسراب في الشبهات الموردة على القرآن وأجوبتها.

٤ _ كتاب إصلاح البشر طبع حديثاً.

٥ _ كتاب في المقالات الروحية.

٦ _ كتاب الحكم البالغة في الكلمات الحكمية.

٧ _ كتاب الخرجين مثل الكشكول.

٨ _ كتاب دليل الحيارى في الرد على اليهود والنصارى وهو الذي بين يديك، وغير ذلك.

وصدر له اجازات:

الأولى: من السيد حسن الصدر.

والثانية: من مؤلف الذريعة.

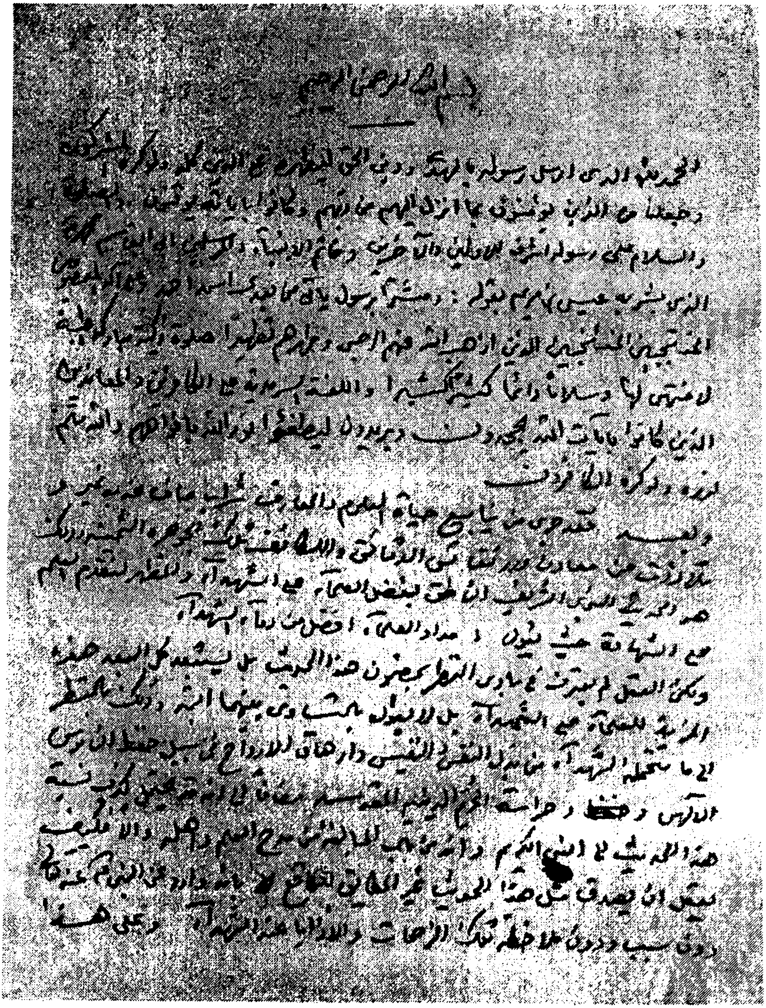
والثالثة: من الإمام النائيني.

شكر وتقديم:

وإذ تقدم المؤسسة هذا السفر الكبير في عطاءه، الصغير في حجمه إلى المكتبة الإسلاميّة والقراء الكرام لا يسعها إلاّ أن تقدم بالشكر الجزيل لسماحة السيد أحمد الإشكوري حفظه الله لنظره في الكتاب والتعليق على الكثير من مطالبه العلمية.

مدير المؤسسة

السيد محمّد القبانجي

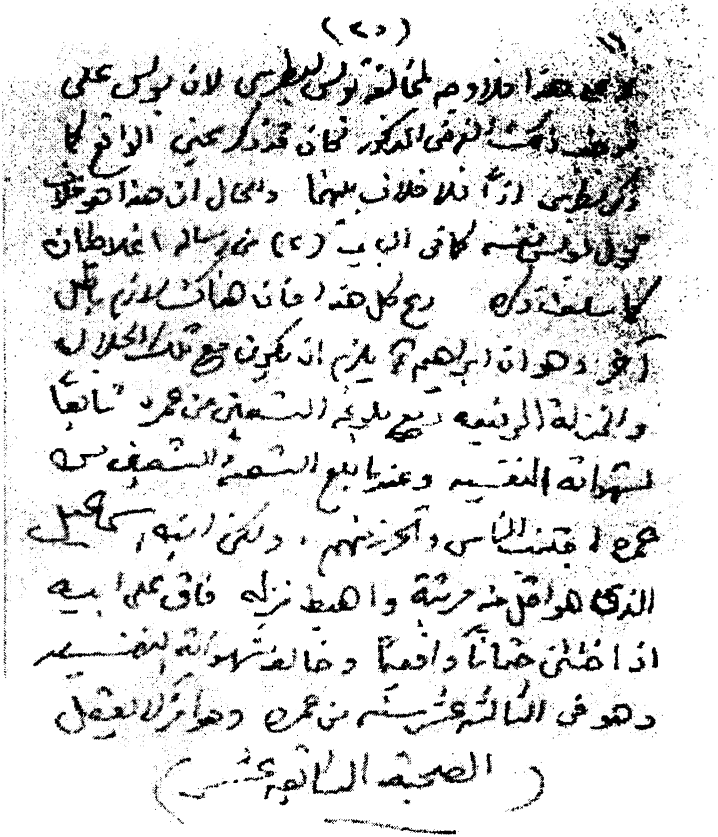

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

والسلام على رسوله اشرف الاولين والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين

الذي بشر به عيسى بن مريم بقوله : ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد

(الصفحة الأولى من النسخة الخطية المترجمة بخط المترجم)



(الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المترجمة بخط المترجم)

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون وجعلنا من الذين يؤمنون بما أنزل
إليهم من ربهم وكانوا بآيات الله يوقنون والصلوة والسلام على
رسوله أشرف الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين
أبي القاسم محمد الذي بشر به عيسى بن مريم بقوله ومبشراً
برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وعلى آله المعصومين النجباء
المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً صلوة
زاكية مباركة طيبة لا منتهى لها وسلاماً دائماً كثيراً كثيراً ولعنة
السرمدية على الكافرين والمعاندين الذين كانوا بآيات الله يجحدون
ويريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون

وبعد فقد جرى من ينابيع حياة العلوم والمعارف شرب
صاف عذب نمير وتلألأت من معادن ورائق [illegible] لآليها
واللطائف تلك الجوهرة الثمينة وذلك هو الحديث النبوي
الشريف الناطق بفضل العلماء على الشهداء وأن مظهر تقدم العلم
على شهادة حيث يقول مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء

(الصفحة الأولى من النسخة الخطية المترجمة بخط الشيخ حسين آل شرع الإسلام)

٧١

المرض المذكور كان قد ذكر معنى الرابع كما ذكر بطرس اذا ملو
خلاف بينهما والحال ان هذا هو خلاف قول بولس نفسه كما في
الباب (٤) من رسالة اغلاطيان كما سبق ذكره ومع كل هذا
فان هذا اللزوم باطل آخر وهو ان ابراهيم ع يلزم ان يكون
مع تلك الجلالة والمنزلة الرفيعة ومع بلوغه الثمانين من عمره
تابعا للشهوات النفسية وعند بلوغ التسعة والتسعين من عمره
احسن الناس ونحو منهم ولكن ابنه اسماعيل الذي هو اقل منه
مرتبة واهبط منزلة فان على ابيه اذا ختن حانثا واقعا
في خلاف شهوات النفسية وهو في الثالثة عشر من عمره وهو امر
لا يعقل :

(الصفحة السابعة عشرة)

تم تسويده بقلم الفاضل الكامل الشيخ حسين نجل المرحوم [illegible]
الشيخ طالب آل شرع الاسلام
بتاريخ ٢٤ ذي القعدة
الحرام سنة ١٣٨٨

الى هنا ترجمة المرحوم الشيخ ميرزا محمد الشيخ صادق الخليلي وما بعدها
فقد ولم نعثر عليه

(الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المترجمة بخط الشيخ حسين آل شرع الإسلام)



سماحة المرحوم حجة الإسلام والمسلمين آية الله العظمى السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي

المتوفى يوم الجمعة ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وجعلنا من الذين يؤمنون بما أنزل إليهم من ربهم وكانوا بآياته يوقنون، والصلاة والسلام على رسوله أشرف الأوّلين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد ﷺ الذي بشر به عيسى بن مريم بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1] وعلى آله المعصومين المنتجبين المنتخبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً صلاة زكية مباركة طيبة لا منتهى لها، وسلاماً دائماً كثيراً كثيراً، واللعنة السرمدية على الكافرين والمعاندين الذين كانوا بآيات الله يجحدون ويريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وبعد فقد جرى من ينابيع حياة العلوم والمعارف شراب صاف عذب نمير، وتلألأت من معادن ورائق نثر الدقائق واللطائف تلك الجوهرة الثمينة، وذلك هو الحديث النبوي

---

(١) الصف: ٦.

الشريف الناطق بفضل العلماء على الشهداء، والمظهر لتقدم العلم على الشهادة حيث يقول: «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء»[١] ولكن العقل لم يعترف في بادئ النظر بمضمون هذا الحديث، بل يستبعد كل البعد هذه المزية للعلماء على الشهداء، بل لا يقول بالتساوي بينهما البتة، وذلك بالنظر إلى ما يتحمله الشهداء من بذل النفس والنفيس، وإزهاق الأرواح في سبيل حفظ الناموس الإلهي، وحراسة الحُرَم الدينية المقدسة، مضافاً إلى أنه قد يحتمل عدم صحة نسبة هذا الحديث إلى النبي الكريم، أو أنه من باب المبالغة في مدح العلم وأهله، وإلاّ فكيف يعقل أن يصدق مثل هذا الحديث غير المطابق للواقع بأنه وارد عن النبي ﷺ دون ملاحظة السبب ودون ملاحظة تلك الزحمات والأذايا عند الشهداء، وعلى هذا فإن بعض العقول التي لا يمكنها إدراك هذه المزية للعلماء على الشهداء لا بدّ وأن تقف متحيرة في هذا المقام، يا ترى لأي جهة وأيّ سبب وصل هذا الشرف والفضل للعلماء على الشهداء لدى الله تعالى، مع أن تلك الزحمات والمشقات التي يتلقاها الشهداء لم تتصور أن تحصل للعلماء أبداً، بل ولم يبتل العلماء ببعض مصائب الشهداء كتلف الأموال وإزهاق النفوس وما إليها، بل ولا أقل من ذلك؟

---

(١) عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء». البحار ٢: ١٦.

ونحن بعون الله وعنايته سنرفع هذا الحجاب ونكشف هذا النقاب عن وجه الحقيقة بأسهل الطرق، وأوضح السبل لبيان سبب هذا التفضيل، ونحل هذا الإشكال ليخرج هؤلاء المتحيرون من وادي حيرتهم فنقول:

لم يكن الغرض من إرسال الرسل والأنبياء إلى هذا العالم هو إدخال أفراد البشر إلى دينه بالجبر والإكراه وبقوة السيف والقهر، بل ليلفت الخالق الحكيم ويوعي قلوبهم إلى الحقّ والحقيقة، فيدخلوا فيه بالاختيار والعقل، وليتحلوا بمكارم الأخلاق التي يأمر ويوحي إلى رسله بتعليمها كما جاء به القرآن المجيد صارخاً ومصرحاً بقوله: ﴿لا إِكراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1] وقوله: ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] وقوله: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صادِقِينَ﴾[3] خلافاً لما قاله النصارى وأوردوه في هذا العصر على المسلمين، وعلّموه بسطاء عوامهم فقالوا: إنّ محمّداً نفّذ أوامر شرعه بالسيف والإكراه حتّى صدقوه وآمنوا به، وهذا ناشئ عن كذب دعواه وبطلان رسالته، مستشهدين على ذلك بغزواته وحروبه، وهذا خطأ إذ لا دلالة على إجباره لهم بتلك الغزوات وهاتيك الحروب، ولا برهان لهم بهذا على بطلان دعوته.

أوّلاً: لو فرض أن ملكاً أو حاكماً أو غيرهما أراد إفهام مصلحة

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) النمل: ١٢٥.

(٣) البقرة: ١١١.

قانون وضعه لصلاح جماعة من الناس وإصلاح حالهم، حتّى يأخذوه ويعملوا به بالاختيار والرغبة لا بالإكراه والقهر لتكون جميع حركاتهم وسكناتهم طبق الحكمة والمصلحة، ثمّ وجدت ـ أثناء إعلامهم وإرشادهم إلى ذلك القانون ـ جماعة أخرى أرادت العبث والإفساد لذلك، لكي يمنعوا أولئك من إجراء ذلك القانون والاستفادة منه ومن تعاليمه وإرشاداته، فإن العقل والحس يوجبان على صاحب ذلك القانون في مثل هذه الحال أن يسعى في منع هؤلاء المفسدين، والضرب على أيديهم، بل استئصالهم بكل صورة من الصور، ليؤمن تابعيه من شرهم وعبثهم، حتّى يمكنهم السير إلى الراحة والرفاهية بكل اختيار ورغبة تحت ظل ذلك القانون المصلح.

ثانياً: لو أنصف الناظر إلى غزواته ﷺ ـ بعين البصيرة لا بعين العناد والمكابرة ـ لرآها لم تكن لتنفيذ شرعه بالقوة والسيف، وإنما كانت دفاعاً وصداً لهجمات الأعداء، وحفظاً لنفسه الشريفة المقصودة خاصة ونفوس المسلمين عامة، فترى بعضها ظاهرة واضحة إذ قصدوه إلى المدينة لمحاربته فدافعهم كغزوة أحد والأحزاب، وبعضها تراه يقصدهم فيها ويحاربهم قبل هجومهم عليه، وذلك لعلمه بتهيئتهم واستعدادهم للهجوم، فكان ﷺ يبادرهم بالهجوم قبل توجههم إليه، وتقويتهم بجمع السلاح والنفوس كسائر غزواته الأخرى، فإن العقل ليحكم بالمبادرة إلى العلاج قبل حلول الداء المتحقق الوقوع، وصد الهجوم المتوقع قبل وقوعه.

إذاً فليس اعتراض هؤلاء النصارى وادّعاؤهم أن النبي ﷺ قد نفذ شرعه بالسيف والقوة والحروب، إلاّ لعدم اطلاعهم على التواريخ الصحيحة أو لداعي العصبية والعناد الذي يلبس الحقّ بلباس الباطل ليوهموا السذج من الناس، ويدخلوا الشبهة على العوام البسطاء، ليترددوا في مذهبهم ودينهم، وإلاّ فكيف يمكن أن يكون اعتراضهم وارداً والحال أن القرآن يصرح بقوله: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ والنبي ﷺ هو نفسه يعلن مصرحاً أن الناس مخيرون غير مكرهين، لهم رأيهم في اختيار الدين، أتراه يقول ذلك وهو غير ملتفت إلى أن ذلك منافٍ لأفعاله وغزواته ومحارباته، على أن جميع عقلاء العالم من موافق ومخالف يتفقون على أن النبي ﷺ وحيد الدهر بل الدهور في عقله ونظره البعيد، ومعرفته لدقائق الأمور، ونتائج الأعمال.

والخلاصة أن هذا الإيراد المذكور من المسيحيين مدحوض مردود وباطل غير مقبول، إذ ليس دخول المسلمين إلى الإسلام كان بالجبر والإكراه، بل كان الغرض من تلك الحروب والغزوات هو إفهام المسلمين وإعلامهم بأحقيّة هذا الدين ليعتنقوه عن تعقل واختيار ورأي، غير مجبورين أو مكرهين، وعلى هذا فإن العلماء هم الساعون العاملون في إدخال أحقية الدين وحقيقته في القلوب، وترسيخه في النفوس ليختاروا اعتناقه دون إكراه، والشهداء هم المجتهدون الساعون في رفع المفسد منهم لترسيخ العقيدة في القلوب. وبعبارة أخرى إنّ الشهداء خدموا في المقدمة، والعلماء في ذي المقدمة ولا شك أن ذي المقدمة

من حيث أنه ذو المقدمة هو أفضل وأشرف من المقدمة من حيث هي مقدمة، ومن أجل هذه المقدمة المذكورة ورد في الحديث أنّ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء، وأن أجرهم أعظم وأكمل من غيرهم بمراتب أسمى وأعلى.

هذا هو سبب تفضيل العلماء على الشهداء، ونحن نشكر الله تعالى على أن وفقنا لإتّباع أوليائه، والسلوك في مسلكهم الذي هو عبارة عن إظهار الحقّ وترسيخه في قلوب الناس، وأن جعلنا نختار هذه الطريقة المثلى برحمته وفضله لنهدي الضالين إلى الصراط المستقيم والدين المبين، ونسأله تعالى عز اسمه:

أوّلاً: أن يوفقنا للإرشاد، وهداية التائهين إلى أحقية الحقّ، وإيضاح واقعية الإسلام إلى قلوب الناس، وإن كنا من الجمع القليل والفرقة الضعيفة فلقد قال الله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.(١)

ثانياً: أن يخلص نياتنا في العمل.

ثالثاً: أن يعلي هممنا لتكون سبباً في زيادة عملنا الديني لإفهام الناس أحقية هذا الدين، وإخراجهم من الضلالة إلى الطريق المستقيم، آمين آمين بمحمّد وآله الطاهرين.

* * *

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

[تمهيدٌ فيه تنبيه]

المجلس الأوّل:[1]

لا يخفى على سالك مسلك الهداية والراغب في تمييز الرشد من الغواية، أن كل متصدٍ لتصديق نبوة من النبوات السابقة إلى زمان خاتم النبيين محمّد بن عبد الله ﷺ لا يمكنه تصديقها دون أن يذعن برسالة هذا النبي الخاتم لها، ودون أن يعترف بصدق أقواله وكلماته، ولا طريق متصور لتصديق تلك النبوة حتّى يعترف بنبوة محمّد بن عبد الله ﷺ وذلك لأن العقل يحتم على كل أحد الإذعان لأيّ تصديق من التصديقات في أي مسألة من المسائل أن لا يقبله إلاّ بالبرهان الثابت والدليل الصحيح الواضح بأحد الوجوه المقبولة لاسيّما في الأمور المهمة، والمطالب الجليلة المحتاجة إلى استحكام البيان، وتقوية الأساس حتّى لا يبقى مجال لتردد العقل في الحكم على الافتقار إليه بالحجج البينة، والمقدمات المسلمة التي تقلع الشك والارتياب، وتزيل الريب والدرن عن الخواطر بالكلية، وحيث أن الأمر[2] لم يقم

(١) ٢٤/ ذي الحجة/ ١٣٣٥هـ.

(٢) المراد به هنا نبوة الأنبياء السابقين عليهم السلام.

عليه دليل قاطع، ولا برهان ساطع عقلي أو نقلي، لأن العقل لا دخل له فيه،(١) والنقل ـ إن لم يكن وارداً عن مخبر صادق وهو خاتم النبيين ﷺ ـ فهو محتاج إلى التواتر، وهذا التواتر أيضاً معدوم الوجود فيه، إلاّ بعض الكتب المحرفة المملوءة بالكلمات المتناقضة المعبر عنها بالتوراة والإنجيل، والتي زعم أهل الباطل إنها من إلهامات جماعة قليلة مجهولة الحال، على أن هؤلاء بمقتضى كتب القوم معلوموا الفسق، كما سنذكر ذلك مفصلاً في موضعه، ولو قلنا بصدوره عن هؤلاء الجماعة مع الإغماض عن فسقهم اللازم لكلماتهم المتناقضة بالنسبة إلى روح القدس ووحيه فهو غير دال على المقصود أيضاً، لأنه إخبار عن جمع قليل مجهول الحال، وهذا لا يكفي في إثبات الفروع، فكيف بالأصول المهمة، ثمّ لا يتوهم أن كثرة تابعي ذلك المسلك، وكثرة مصدقيه يثبت التواتر، ويحصل استدلالهم على صدق دعواهم لأن وهن مأخذ ذلك التصديق، وضعف أصل ذلك المنشأ والمستند والاعتقاد، وتشبثهم بالكتب المحرفة الباطلة كلها دليل قاطع واضح على بطلان ذلك المسلك الضال، والطريقة الواهية الباطلة كما يشاهد رأي العين من القسيسين العظام، ويحس من أفعالهم، مما يثبت لك أن بين التواتر هذا ومخبر

---

(١) أي لا دخل له في إثبات نبوة شخص معين، لا أنه لا يحكم بأصل وجوب بعث الأنبياء عليهم السلام.

هؤلاء بون بعيد لا يحتاج إلى بيان.[١]

لهذا لم يبقَ لهم في تصديق المسيح ورسالته سوى التمسك برسالة النبي محمّد ﷺ والاعتراف بقرآنه الذي ينص فيه بقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ﴾،[٢] إلى غير ذلك فيه.

لكن المسلمين بخلافهم[٣] في تصديق رسالة نبيهم الأكرم محمّد بن عبد الله ﷺ لأنهم لا يحتاجون في ذلك إلى تصديق الأنبياء السابقين، وتصويب أقوالهم لأنّ معاجزه الباهرة، وأفعاله وتعاليمه الناطقة بالحقّ هي الكاشفة عن صدق دعواه، وواقعية رسالته، فإنها بدرجة من الوضوح والظهور بحيث لو لاحظها وراعاها المنصف لعلم أن إنكارها هو إنكار الحسيات، ونفيها نفي الضروريات، إذ لو فرضنا أن نغض النظر عن جميع الروايات والأخبار الكثيرة المتواترة، ولم نعتبر في جميع الدلالات والمنطوقات في الكتب والزبر والصحائف والأوراق التي عند المسلمين، بل وحتّى الإعجاز في بلاغة القرآن وفصاحته الخارجين عن طوق البشر؛ فإن دليلاً عقلياً[٤] واحداً قويماً متيناً يكفينا في إظهار الحقّ كالشمس في رائعة النهار، حتّى لا يبقى لكل منصف أقل ذرة من شك

---

(١) يريد مُدَّظِلُّهُ إثبات إن صحة أي عقيدة إنما تنبعث مع قيام التواتر على صحتها في جميع الطبقات لا مجرد تحقق التواتر في الطبقات المتأخرة دون المتقدمة، فإذا لم يتحقق التواتر في بعض الطبقات فهذا يهد أصل العقيدة، ولا يكون نافعاً في إثباتها تحقق التواتر في الطبقات الأخرى.

(٢) المائدة: ٧٥.

(٣) أي بخلاف المسيحيين.

(٤) الأولى أن يقال: (دليلاً وجدانياً).

أو ريب في خاطره، وذلك أنه من المسلّم لدى جميع أهل الأرض شرقاً وغرباً ومن المتفق عليه قاطبةً أن النبي ﷺ كان وحيد دهره، والمبرز في العالم في عقله وفطانته وحكمته ورأيه، حتّى أن خصومه كافة يعترفون بأنه ﷺ كان من الحكمة وبعد النظر وسداد الرأي في القول والفعل بمكانة لا يوصم بنقص، ولا ينسب إلى جهل ولا محل لاعتراض أيّ معترض، كما نطقت به كتبهم، وكما ورد في كتاب (بيان الحقّ: المجلد الأوّل/ ص ٦٨) لجرجس صال المسيحي، وكما في (مقالة في الإسلام) المترجم من الإنجليزية إلى العربية المطبوع سنة (١٨٩١م) في مصر، وكذلك القس عبد المسيح في (ص ٢١٤) من (أشعته)، فإنه يقول: (لا ينكر أحد أبداً أن محمّداً ﷺ كان عاقلاً فطناً).

وفي كتاب (پاپاس قندر) الذي هو أربعة أجزاء في الرد على الإسلام يصرح في (صفحة ٢٣٣) من ميزان الحقّ ببعد نظره وتعقله، وهكذا (مسيو جورج دردي) فقد كتب رسالة في رجال العالم الأوّل في العقل باللغة الفرنسية وفي (صفحة ١٥٨) منه ذكر النبي الأكرم ﷺ وصوره وبيده أوراقاً من القرآن المجيد، وقد ذكر تصريح هؤلاء الأشخاص الثلاثة صاحب كتاب (بيان الحقّ) في (ص ٦٩) من المجلد الأوّل منه، والخلاصة أن ليس فرقة من الفرق، ولا ملة من الملل إلاّ وهي مسلّمة ومعترفة بما للنبي ﷺ من وفور العقل والحكمة، وبعد النظر وشدة الفطانة، وأنه في كلها في الدرجة القصوى والأفضلية على ساير الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن المجيد الموجود فعلاً بأيدي المسلمين، والذي ينطق

بمعاجز السلف من النبيين، هو الذي يظهر أشرفيته وأفضليته على ساير الرسل، ويبدي أنه نخبة الموجودات وخلاصة الكائنات.(١)

فيا طالب الهداية المنصف ويا عديم الغرض والمرض، إذا كنت ملاحظاً في طلبك الإنصاف ومتجنباً فيه العناد واللجاج، وإذا كنت مسلماً معترفاً بما سلم به العالم واعترف، كيف يمكنك أن تقول أن مثل هذا النبي الكريم ﷺ لم يكن صاحب إعجاز وآيات بينات؟ وبأيّ دليل تفتري على الله فتقول إن مثله يفتري على الله، ويدعي النبوة؟ أتراه يتلو هذه الآية الناطقة عن معجزة النبي عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(٢) ثمّ لم تطلب الناس منه معجزة مثلها أو أكثر منها، أو أنه تلاها ثمّ ادعى الأشرفية على جميع الأنبياء فصدقته الناس اعتماداً عليه وثقة به، دون أن تطلب منه المعجزة على دعواه بالأشرفية والنبوة، أو أنهم بعد ادعائه الرسالة والأشرفية طلبوا منه دلائل الرسالة، أو أن ذلك العاقل الحكيم الفطن أجابهم والعياذ بالله إني لست مثل عيسى عليه السلام أحيي

---

(١) هو دليل قائم على أساس تراكم الاحتمالات المورث للاطمئنان بل القطع والدليل قائم لا على أساس نكتة الفطنة والعقل والحكمة فقط بل يضم المجتمع الذي عايشه الرسول ﷺ زماناً ومكاناً وثقافة وعلماً بل الحضارات آنذاك مع سعة قوانينه ودقتها وعدم التنافي.

(٢) آل عمران: ٤٨ و٤٩.

الأموات وأبرء الأكمه والأبرص، ولا مثل موسى عليه السلام أقلب العصا ثعباناً، أو إني لست كصاحب اليد البيضاء ولكن مبعوث من الله وأشرف من جميع الرسل الذين تقدموني، سبحان الله. أترى لو دخل شخص إلى بلد وادعى فيها الطبابة، مدعياً أنه أعلم وأكمل من جميع الأطباء في البلد، ثمّ رجعت إليه الناس لمداواة أمراضهم فكان عاجزاً عن معالجتهم، وهو يقول إني أعلم من هؤلاء الأطباء، وأعرفهم بدقائق هذا الفن وأصوله وفروعه علماً وعملاً، ولكني لا أقدر على المعالجة مثلهم، ولا أتمكن على مداواة كل مرض، إذاً فما تنسب إلى مثل هذا الإنسان؟ وكيف تصفه أليس قليلاً أن تصفه بالجهل، أو بعدم كونه طبيباً دون أن تحكم بسفهه أو جنونه؟ وعليه فمن لوازم هذه الدعوى من مثل هذا المدعي هو نسبة السفه والجنون إليه، إذاً لا يمكن للعاقل أن يجعله في صف العقلاء، أو يقول إنه أعقل العقلاء وأحكم الحكماء كما اتفق جميع العقلاء في جميع أطراف العالم بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله.

* * *

[المحجة في إثبات الحجة]

المجلس الثاني:[١]

غير خفي على ذوي البصيرة أن العناية والعلة من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يحكم العقل من كل ذي عقل بوجوبه على الخالق الحكيم هو إصلاح حال النوع البشري، وبيان صلاح آجله وعاجله وفسادهما، وبعبارة أوضح الهداية والإرشاد إلى الطريق المستقيم، وحفظ الناموس الإلهي الجامع لخير ونفع النشأتين الأولى والعقبى على الإطلاق اللازمين للتمدن الذي فطر عليه هذا النوع، وجبل كغريزة مركوزة فيه، حتّى قيل فيه أن الإنسان مدني بالطبع، وهذا[٢] هو معنى قولنا إن العقل يحكم بوجوب بعث الأنبياء على الله رب الأرباب، ومعلوم أن هذا الغرض وهذه الغاية حاصلة ما دام حافظ ناموسها حياً موجوداً، لم يرتحل من هذا العالم الفاني إلى العالم الباقي، وعليه فإن معاصريه والمتشوقين الحاضرين بحضرته وخدمته لا بدّ وأن يصدقوه عن بينة وبرهان، فإذا ما اعترفوا وصدّقوا، لا مناص لهم من إطاعته والانقياد إليه، وامتثال أوامره ونواهيه.

---

(١) ٢/ محرم الحرام.

(٢) اسم الإشارة يعود إلى قوله مدّظلّه: (إصلاح حال النوع البشري... وفسادهما).

ولكن بعد أن انطفأ هذا المصباح، وانتفت الحجة البالغة لله عن الناس فيلزم لعدم فوات ذلك الغرض المذكور على الخالق الحكيم أن يبقي لهم بعد الرسول قانوناً ثابتاً، وكلاماً مقدساً من ذلك النبي المفقود عن وحي الله تعالى، مع البرهان الواضح والدليل المبين، بحيث لا يشك به أحد من الخواص والعوام، ولا يرتاب في صحته ونزاهته وتقدسه عن كل باطل أو تحريف أو نقصان أو زيادة، وأن يبقى محفوظاً بين يدي الناس ليهتدي بتوسطه اللاحقون، بنفس حجة السابقين، حتّى إذا ما عراه تغيير أو تحريف فالواجب على الله أن يبعث أحد خلقه ممن امتاز برتبته عنده مؤيداً بتأييداته إمّا برسالة جديدة غير تلك، أو بتكميل ما تقدمه لينجي الناس من الضلالة، ويرشدهم إلى طريق الصواب، وإلاّ كلفهم بما لا يطاق ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا سألنا جماعة النصارى الجاحدين لمقام محمّد ﷺ أن عيسى عليه السلام لما غاب عن الأنظار أو بزعمهم انصرف إلى العالم الأخروي ماذا خلّف من الكلام المقدس الذي يصلح الناس، ويهذب النفوس من بعده؟ فإنهم لا يستطيعون الجواب الصحيح سوى أن يقولوا خلّف التوراة والأناجيل الأربعة المنتشرة عندهم والمعتبرة لديهم، وهذا فاسد لأنه (كما سيأتي في المجلس الثالث) ليست التوراة الموجودة بصحيحة، بل هي متيقنة البطلان، وأمّا تشبثهم بالأناجيل فإنها لا تكفي مع فقدان التوراة

الأصلية، لأن المسيح لم يأتِ بدين جديد ولا شريعة ناسخة للتوراة، بل إنه جاء مكملاً للتوراة، كما هو مذكور في العدد (١٧) من الباب الخامس من إنجيل متى[١] و(١٦) إنجيل لوقا، وعليه فيلزم أن تكون التوراة موجودة لتعمل النصارى بأحكامها، ثمّ أنه لا دليل عقلي ولا نقلي من تواتر وغيره يدل على أحقية هذه الأناجيل المشتهرة فيما بينهم. وإن الاشتهار الخاص لهم دون دليل واضح وبرهان فيه يرفع الشبهات ويزيل الأوهام لا يفيد الخصم، ولا يجدي في رد المعارض.

أما الدليل على بطلانها فكثرة ما فيها من الكلمات والأخبار المجهولة عن أهل الباطل التي ينسبونها إلى أهل الحقّ، وكثرة المفتريات من أهل الضلالة والخيانة على أولياء الدين والأمانة، وهذا دليل مستقيم وبرهان قطعي على عدم دليل الأحقية بل عدم الأحقية نفسها، وذلك أن هؤلاء النصارى إمّا أن ينسبوا الأناجيل هذه إلى النبي عيسى عليه السلام وإما إلى هؤلاء الأربعة من الحواريين. فإن نسبوها إلى المسيح نفسه فالعقل يحكم ببطلان ذلك صريحاً من جهات كثيرة:

أوّلاً: لأن هذه الأناجيل عبارة عن قصص وتواريخ وبيان حالات عيسى عليه السلام من أوّلها إلى آخرها حتّى كيفية صلبه حسب معتقدهم. وهذا كاشف عن أنّ هذه الأناجيل وضعها شخص آخر

(١) لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل.

غير عيسى عليه السلام بعده، لأنها شرح لأحواله وما جرى عليه في حياته حتّى فقده من البداية إلى النهاية، وإلاّ كيف يعقل أن يعتبر الإنسان أيامه الآتية كالماضية، ثمّ يجرد من نفسه إنساناً آخر يحكي عنه ويذكر أحواله دون نظر إلى فائدة أو منفعة لأتباعه وأصحابه.

ثانياً: أنّ ثلاثة أناجيل من هذه الأناجيل الأربعة زائدة لا فائدة فيها، فلو فرضنا صحة نسبة هذه الأناجيل إلى المسيح كان من اللازم العقلي أن يكتفي بواحد منها يؤدي ما أراد من أداء الرسالة دون أن يرتكب هذه الأمور القبيحة غير اللائقة بمقامه الشريف.

ثالثاً: أنّ هذه الأناجيل قد نسب كل واحد منها إلى أحد الأشخاص، كما سميت بإنجيل مرقص وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، فإذا كانت للمسيح نفسه فما معنى النسبة والإضافة إلى أسماء غيره.[١]

رابعاً: أنّ في هذه الأناجيل من الزخارف والأقوال الشنيعة والمتناقضات والافتراءات كنسبة شرب الخمر للمسيح وأمثاله،

---

(١) قد يقال إن هذا الإشكال فيما لو كانت املاءاً من المسيح عليه السلام على هؤلاء الأشخاص أو من دوّنها عن المملى عليهم.

إلاّ أنه مردود لأنهم لم يدعوا أن منشأ التعدد هو تعدد النساخ نعم من المناسب الإشارة إلى سبب التعدد عندهم.

مما لا ينطق بها عاقل فضلاً عن نسبتها إلى نبي عظيم كعيسى عليه السلام وحتّى إذا ما نسبوها إلى هؤلاء الأربعة الحواريين فإن اعتقادهم بمحتوياتها أيضاً خلاف العقل والدين. وهذا دليل واضح قائم على أن هذه النسبة إلى هؤلاء الأربعة أيضاً هي افتراء وبهتان، لأن الأناجيل هي نفسها يختلف بعضها عن بعض في ذكر نسبها، وكلماتها الدالة على الكفر والارتداد الصريح، بل إنّ في الإنجيل الواحد قد ترى بعض أبوابه مخالفة مع البعض الآخر، كما ذكر في الباب الأوّل من إنجيل متى أن بين عيسى عليه السلام والنبي إبراهيم من الأظهر اثنين وأربعين طبقة،[1] وفي الباب الثالث من (متى ولوقا) أن بينهما خمسة وخمسين طبقة،[2] وهذا الاختلاف كما لا يجوز نسبته إلى المسيح عليه السلام كذلك لا يجوز نسبته إلي الحواريين والملهمين وأصحاب روح القدس، بل لم يكن هذا الإسناد معقولاً، وإلاّ فيلزم أن نقول بعدم صحة صدور مثل ذلك عن مثلهم، بل يحصل لنا الشك في نفس المصدر.

خامساً: إن تعدد وتكرر هذه الأناجيل كاشف عن أن صاحب الإنجيل اللاحق لم يثق بصاحب الإنجيل السابق، ولم يعتبره، ولم يعتبر أقواله لذلك فقد رتب وأصدر كتاباً آخر مخالفاً لسابقه، وإلاّ فما الداعي إلى رفض الأوّل وترتيب الثاني معتقداً أن

---

(١) إنجيل متى الإصحاح الأوّل العدد (١٦).

(٢) في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث خمس وسبعون طبقة.

كتابه هو الصحيح، ثمّ يذكر مضامين الأوّل مع مخالفاته له في بعض المواد، مما يحقق بطلان الأوّل، وهذا الأمر مما ينافي صدوره من صاحب الإلهام وروح القدس.

فثبت من هذا[١] عدم صحة نسبة كل من هذه الأناجيل إلى أصحابها، بل لم تثبت أيضاً صحة نسبة الأناجيل الثلاثة مرقص ولوقا ويوحنا إلى أصحابها، لأن هؤلاء الأشخاص الثلاثة لم يكونوا من الحواريين، أما مرقص ولوقا فبناء على ما ذكر في الباب التاسع من إنجيل متى عند تعداد أسماء الحواريين لم يكن اسم لهما فيه معهم،[٢] وأما يوحنا فهو وإن ذكر اسمه مع الحواريين ولكن على ما يظهر من عدد (٢٤) من الباب الثاني من إنجيل يوحنا يدل على أن يوحنا هذا غير يوحنا الذي ذكره متى مع الحواريين، كما يظهر نظير هذا في الباب الأوّل من إنجيل لوقا في حقّ لوقا.

ولو سلّمنا أن هؤلاء الأشخاص الأربعة هم من الحواريين وأن هذه الكتب المنسوبة إليهم كلها من ملهماتهم بعد أن فُقِدَ المسيح عليه السلام وأنهم رتبوها ونظموها عن إلهام من الله لا من

---

(١) مقصود المؤلف كون الاختلاف بينها في المعنى لا في اللفظ فحسب.

(٢) إنجيل متى الإصحاح العاشر والأسماء المذكورة فيه هي: (بطرس، اندوراس، يعقوب، يوحنا، فيلبس، ثولماوس، توما، متى، يعقوب بن حلفي، تداوس، سمعان القانوني، يهوذا).

أنفسهم فإنّا لا نقبل أن تقوم هذه مقام كتاب عيسى عليه السلام وأن تكون هي الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام نفسه لإصلاح بني نوع الإنسان وتهذيب نفوسهم، بعد تسليمنا بأنها مرتبة من قبل هؤلاء الأربعة بعد عيسى عليه السلام ومنسوبة إليهم وأنهم من الحواريين، فإن المسيح عليه السلام كان في حياته يأمر الناس بتصديق إنجيله والعمل بأحكامه، كما عبرت عنه هذه الأناجيل بالإشارة إليه بقولها (الإنجيل) كما يتضح لك بملاحظة بعض المواضع من إنجيل مرقص في عدد (١٥) الباب الأوّل و(٢٥) الباب الثامن و(٢٩) الباب العاشر و(٩) الباب الرابع عشر. وهذا دليل واضح على أن الإنجيل الذي أشار إليه السيد المسيح عليه السلام كان غير هذه الأناجيل، وإلاّ فكيف يكون المعدوم موجوداً يجري مجرى المحسوس وقد عبر المسيح عليه السلام عنه بالإنجيل لا أناجيل التي تعطي معنى التعدد المؤيد لمدعانا.

فيظهر من هذه الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة ويتضح أن هذه الأناجيل الموجودة الآن بيد هؤلاء النصارى ليست حجة إلهية، ولا تنوب مناب حضرة المسيح عليه السلام ولا كانت ولن تكون، بل هؤلاء المتمسكون بها والعادون أنفسهم من المتدينين سوف يكونون مسؤولين أمام الله تعالى ومعاقبين على هذا التمسك الواهي والتدين الباطل.

فإن اعترض علينا هؤلاء النصارى بعد تلك الأدلة المثبتة لبطلان أناجيلهم قائلين إن كثيراً من آيات قرآننا الكريم الذي

نعتقد نحن بصحتها تدل دلالة واضحة على أن السيد المسيح عليه السلام كان له كتاب مقدس وهو الإنجيل مثل آية (٤٨) من سورة آل عمران[١] و(٤٦) من سورة المائدة[٢] وأمثالها، وإذا كذبتم أناجيلنا فقد كذبتم قرآنكم.

قلنا: لا ملازمة بين تكذيبنا للأناجيل الباطلة وبين تكذيبنا لقرآننا الصادق، لأنا نحن نكذب الأناجيل لا الإنجيل الذي هو غير هذه التي بأيديهم كما سبق، وإلاّ فإذا صدّقنا كل كتاب يسمى بالإنجيل يلزم من ذلك أن نصدق كل كتاب باطل إذا سمّوه بالإنجيل أيضاً، ونعتقد بأحقيته، وكونه من الوحي السماوي، على أن هؤلاء النصارى لا يتمكنون من أن يجعلوا هذه الآيات دليلاً لهم على مدعاهم، إذ يقال لهم: أن هذه الأناجيل.

أوّلاً: ليست ذلك الإنجيل الذي صدّقه قرآننا الكريم.

ثانياً: إنّ التدليل[٣] بهذه الآيات من القرآن فرع من تصديقهم لنبوة نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وهم لم يعتقدوا برسالة خاتم

---

(١) قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾.

(٣) المصنف عبر بالتدليل لا بالإشكال على المسلمين فما يقال من أن هذا الإشكال لا يرد لأنه من باب الإلزام ينسجم لو كانوا في صدد الإشكال لا التدليل.

النبيين، فلا معنى لاستدلالهم بها، والخلاصة بناء على تلك المقدمات المذكورة، وأنه بعد المسيح لا يوجد كتاب سماوي يصلح حال النوع البشري غير إنجيله، وأن هذا الإنجيل الحقيقي لم يكن موجوداً بعده لزم أن نعتقد بلزوم إرسال أحد بعده، وانبعاث نبي غيره لتلك الغاية العظيمة[١] من قبل الله جل وعلا.

أما نحن المسلمين فنقول بمجيئه وإرساله وهو نبينا الكريم محمّد بن عبد الله ﷺ وأما النصارى فعليهم أن يعيّنوه من هو ومتى يبعث؟

* * *

(١) لأن الغرض هو إصلاح المجتمع الإنساني.

[الشهود على بطلان حجج اليهود]

المجلس الثالث:

إذا سئل اليهود بمثل سؤال النصارى، ولم يمكنهم الجواب، فإنا نسألهم أن موسى عليه السلام لما ارتحل عن الدنيا أي كتاب بقي منه بعده ليقوم مقامه في إصلاح النوع البشري، ويكفيهم أمور دنياهم ودينهم؟

وبديهي أن جوابهم سيكون مثل جواب إخوانهم النصارى من أنه عليه السلام خلّف لهم التوراة، وهذا جواب واضح البطلان لأن توراتهم الموجودة بأيديهم اليوم هي مثل الأناجيل الباطلة، لا دليل لديهم على صحته ولا الانتساب إلى حضرة النبي موسى عليه السلام كما هو واضح، بل الدليل قائم على أن التوراة النازلة على موسى عليه السلام غير هذه التي بأيدي اليهود اليوم، وأنهم قد افتروا عليه عليه السلام بهذه النسبة والإسناد إليه وذلك:

أوّلاً: لأن في توراتهم هذه كثير من الخرافات والمتناقضات والاختلافات، كنسبة شرب الخمر والزنا إلى النبي لوط عليه السلام[1] وإسناد السكر إلى النبي نوح عليه السلام[2] ونزول الله تعالى على النبي إبراهيم وأكله

---

(١) العهد القديم والجديد ١: ٣٠/ الصحاح ١٩.

(٢) العهد القديم والجديد ١: ١٥/ الإصحاح ٩/ رقم ٢١.

معه الطعام،[١] وأمثال هذه الكفريات التي لا يقبلها العقل، ولا يستسيغها الذوق والوجدان، مما يدل دلالة صريحة على الافتراء الواضح على كليم الله عليه السلام وأنه عليه السلام بريء منزه عن أمثالها.[٢]

ثانياً: أنه يعلم من العدد (٩) من باب (١٣) من سفر التثنية أن موسى الكليم عليه السلام قد كتب التوراة،[٣] وأوصى إلى بني لاوي الكهنة الذين كانوا يحملون تابوت عهد الله، وجميع مشايخ إسرائيل، وأمرهم أن يقرأوه في يوم العيد في مجمع بني إسرائيل على رأس كل سبع سنين، وبناء على ما في عدد (٩) من الباب الثامن من الكتاب أوّل السلاطين[٤] يظهر أنه في زمان النبي سليمان عليه السلام فتحوا التابوت فلم يجدوا فيه شيئاً سوى لوحتين من الرخام، وقد ذكر صاحب كتاب (قنيقيسموس) في الدرس (٤١) مستشهداً بعدد (١٨) من باب (٣١) من سفر الخروج[٥] وعدد

---

(١) العهد القديم ١: ٢٦.

(٢) الاستدلال مبتني أوّلاً على مباني المستدل لا مباني الخصم وهذا أمر ليس بعزيز وثانياً: على القول بعصمة الأنبياء وفي أمر التبليغ وهو أمر يقره العقل.

(٣) في العدد (٨) من الإصحاح السابع والعشرين: (وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً).

(٤) في سفر الملوك، الملك الأوّل الإصحاح الثامن العدد (٩): (لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر).

(٥) (ثمّ أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله).

(١٣) من باب (٤) من سفر التثنية[١] أن هذين اللوحين لم ينقر فيهما، بل لم يسعا سوى خمسة أحكام فقط.

ومن هذا يفهم ويتضح أن التوراة كانت مفقودةً حتّى زمان سليمان عليه السلام[٢] وأن هذه التوراة الموجودة الآن لم يصح إسنادها إلى موسى عليه السلام وأما القرآن الكريم الذي يصدق التوراة في مواضع متعددة منه هي تلك التوراة المفقودة، لا هذه التوراة الموجودة اليوم التي لا صحة لإسنادها إلى الكليم عليه السلام البتة، كما مضى البرهان عليه. فعلى اليهود تعين الحجة البالغة الإلهية في هذا العصر، وإثبات النبوة لرسول معيّن يليق لتهذيب البشر، وإصلاح النفوس بأحكامه السماوية في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) (وأخبركم بعهده الذي أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحي حجر).

(٢) بناءاً على أن التوراة لا بدّ من وجوده في التابوت.

[نادرة فيها فائدة]

المجلس الرابع:

بعدما علمت أن التوراة الأصلي مفقودة، وأن هذه التوراة الموجودة اليوم في أيدي اليهود ليست هي الكتاب الأصلي فاعلم أن هؤلاء المتمسكين بدين التوراة الموجودة اليوم، والمعتقدين بصحتها وحقيقتها، والذين يستدلون بما في باب (٢٢) من كتاب ثاني السلاطين،[١] وباب (٢٤) من كتاب ثاني تواريخ الأيّام من أن (حلقيا) الكاهن في زمان سلطنة (يوشيّا) كان قد وجده في بيت المقدس،[٢] وهذا هو الذي وجده بعينه توراة موسى عليه السلام يعارضون بأمور:

---

(١) في سفر الملوك الملك الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون العدد (٨): (فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب).

(٢) ورد في سفر أخبار الأيام، الثاني، الإصحاح (٣٤) العدد (١٤ و١٥): (وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى، فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب. وسلم حلقيا السفر إلى شافان).

أولاً: أنّ هذا أمر غير معقول، لأن بيت المقدس في زمن فقدان التوراة كان بأيدي اليهود، يترددون عليه على الدوام لأنه معبدهم، ومحل نسكهم وعبادتهم، كما كانوا يحضرون عند تعميره وإصلاح النجارين والبنائين والمعماريين له، فكيف لم يعثروا عليه وهم الكثيرون مع كثرة ترددهم عليه في كل تلك المدة المديدة، وكيف وجده الكاهن هذا بعد تلك الآونة الطويلة؟

ثانياً: أنّ استدلالهم هذا ساقط عن درجة الاعتبار لأن التوراة هذا يكون مستنداً إذا كان العهد العتيق، ولم يعتبر جديداً، وإذا كان معلوم الصحة، فكيف يكون دليلاً وهو مشكوك؟ بل محقق البطلان كما سلف، وكما يأتي.

ثالثاً: أنّ هذه التوراة تكون مستنداً لدليلهم على فرض صحتها أنها هي التي وجدها الكاهن، أما كونها هي لا غير فذلك مما لا دليل ولا برهان عليه، وقد أثبتنا في المجلس السابق أن هذه التوراة الموجودة ليست هي الأصلية النازلة على موسى عليه السلام.

والخلاصة أن هذه الأجوبة الثلاثة توضّح لنا ولهم جلياً أن الاستدلال هذا غلط، ولا معنى له ولا حجة لهم به في إثبات مدعاهم، وعلى فرض التسليم والإغماض عما تقدم من الأجوبة المذكورة نقول: إن كل مستندهم في

إثبات توراتهم هو شخص واحد مجهول الحال، وهو (حلقيا) الكاهن وهذا لو سلّمنا أنه معلوم معروف ليس من المعقول ولا من المتصور أن يقوم أساس دين وتثبت دعائمه على خبر شخص واحد، وإن كان موثوقاً صادقاً، ودين هكذا تثبت دعائمه ليس بمعقول إتّباعه.(١)

* * *

(١) ذلك لأن كل قضية لأجل الجزم واليقين بصحتها يجب أن يدل عليها دليل قطعي لا مجال للشك والشبهة فيه. وهذا يثبت إما عن طريق الحس كما لو سلم موسى عليه السلام يثبت عنده ذلك بالقطع واليقين، أو يثبت بالتواتر في جميع طبقات الناقلين أن هذا هو كتاب موسى عليه السلام، كما هو الحال في القرآن الكريم، الذي نقل بالتواتر بين أجيال المسلمين من زمن النبي إلى يومنا هذا. أما نقل شخص واحد غير معصوم مهما علت درجة وثاقته وعلمه وتدينه فإنه لا يفيد إلاّ الظن، والظن لا يمكن أن يحل محل العلم واليقين، فيكون المنقول بخبره مظنون الصدور وليس متيقناً، ولا دليل على حجية مثل هذا الظن فيسقط عن الاعتبار.

[البرهان على حجية القرآن]

المجلس الخامس:

لقد أثبتنا في المجالس السابقة بالدلائل الواضحة القاطعة، وبرهنا على أن هذه التوراة وهذا الإنجيل الموجودان فعلاً غير التوراة والإنجيل النازلين على النبي موسى عليه السلام والنبي عيسى عليه السلام الكافيين لإصلاح نفوس البشر، والآن. وأوّلاً: نحن نثبت لك أن قرآننا الكريم الذي بأيدينا نحن المسلمين هو القرآن الذي خرج من فم نبيّنا محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وهو هو الذي نزل على صدره بالوحي السماوي بواسطة الأمين جبرئيل عليه السلام لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يطرأ عليه أيّ تحريف أو تغيير أو نقصان أو زيادة، فنقول: إنّ هذا القرآن المجيد اليوم لا يمكن أن يحرف عن أصله الهابط من السماء، لأن التحريف والتغيير يحدث للنسخة الواحدة إذا كانت محصورة لا تعدد فيها كما هو الحكم في التوراة كما نقل أن موسى عليه السلام كتبها ثمّ دفعها إلى حاملي التابوت وأمرهم أن يقرأوها بعد سبع سنين في يوم العيد في مجمع بني إسرائيل، إذاً فهو منحصر النسخة لا ثاني لها، أما إذا تعددت نسخ الكتاب وتفرقت في أيدي الناس في

أبعاد شاسعة فذلك مما يجعله غير قابل للزيادة والنقصان، وواضح أن القرآن الكريم كان متعدد النسخ في جميع الأقطار الإسلاميّة، كما نطقت به كتب التواريخ والسير من أن المسلمين في أوائل الدعوة كانوا كثيري الاهتمام والمواظبة على القرآن في تعليمه وقراءته وحفظه في الأذهان والقلوب، كما كانوا ساعين في انتشاره واشتهاره. وكان النبي ﷺ بنفسه يأمرهم بذلك، وحتّى أوجب على أمّته قراءة بعض سوره في الصلوات الخمس الواجبة كل يوم، بحيث كان تركها مخلاً بالصلاة غير جائز في الشرع.(١)

ومن هذا يعلم أن القرآن الكريم كان محفوظاً مضبوطاً محافظاً عليه منذ بدء الإسلام، ولم يحصر في نسخة واحدة، حتّى يمكن للمنحصرة عنده أن يحرّفها أو يغيرها، وهذا أمر يشهد به العقل، لأن النبي محمّداً ﷺ كان قد أتى بقرآنه أعظم معاجزه، وأسمى حجج رسالته مدعياً أن دينه خاتمة الأديان وناسخها، وأنه باقٍ إلى يوم القيامة، كما تقدم بيانه، هذا من جهة، وجهة أخرى أنه من المسلّم لدى العالم بأجمعه أن محمّداً ﷺ كان وحيد الدهر في كمال عقله وفطنته وحكمته. إذاً هل من المعقول أن نبياً هذا عقله ونبله وحكمته، وهذا هو ادعاؤه في رسالته، وهذا قرآنه ومعجزته المهمة ذو المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة والجلالة المعلومة، والذي هو نظام دعوته، وقانون شريعته،

---

(١) أقصى ما يدل عدم تحريف خصوص هذه السور فالدليل أخص من المدعى إلا بضم القول بعدم الفصل.

ومنهاج إرشاده، وناسخ شرايع من تقدمها لم يأمر تابعيه بحفظه من التصحيف والتحريف والزيادة والنقصان، وهو في عين الوقت يطلب إرشاد من يأتي من الناس، ويهدي به من يتبع هذه الأمّة المرحومة من الأمم القادمة إلى يوم القيامة، اللهم إلا أن نقول أنه (وأستغفر الله) غير قادر على تنفيذ حكمه، أو أنه غير مطاع لدى أصحابه وتابعيه في أوامره ونواهيه، حاشا فإنه ﷺ لو أمرهم أن يصرفوا كل ساعات ليلهم ونهارهم في استنساخه، وتكثير نسخه لأطاعوه ممتثلين، ولتسابقو في إنجاز أمره مغتبطين ولنالوا شرف الطاعة بإطاعته.(١)

إذاً فيعلم أن القرآن لم يعتره النقص ولا الزيادة ولا التحريف ولا التغيير وأن هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين هو عين ذلك القرآن الذي نزل على قلب محمّد ﷺ بعينه، وهذا الذي كان شاهداً بصدق دعواه.

وهناك حكم آخر للعقل على عدم تغييره وتحريفه، وذلك: إنا لو فرضنا أن فيه زيادة، فلا تخلو هذه الزيادة من أنها أقل من الأصل في الفصاحة والبلاغة، أو مساوية له، وكلاهما باطل، ذلك لأن العبارتين المختلفتين في الفصاحة والبلاغة لا يمكن مزجهما

---

(١) يقال هذا البيان من الدليل العقلي (نقض الغرض) يرد نقضاً على الديانات السماوية فلماذا غابت هذه الطريقة عن الكتب السماوية؟

إلاّ أنه فرق بين المقامين إذ أن القرآن قد وعد الله بحفظه هذا مضافاً إلى أنه كان معجزة الرسول الخالدة وقد تلقى الأصحاب هذا المغنى من هنا اهتموا بحفظه ونسخه لاسيّما أن الرسول كان خاتماً للرسالات بخلاف الكتب السماوية.

بعضهما دون أن تظهر ركاكة الزيادة وعدم ملائمتها مع أختها، ونحن وغيرنا وكل إنسان يرى أن القرآن كله متلائم العبارات، منسجم الكلمات، إذاً فالزيادة لا يمكن أن تكون أقل من غيرها من الآيات في الفصاحة والبلاغة، وحيث لم نجد شيئاً من القرآن ركيك العبارة مخلاً بالفصاحة والبلاغة فلا زيادة بهذا المعنى.

أما إذا فرضنا الزيادة مساوية لساير آيات القرآن فيهما، فهذا أيضاً غير معقول، لأن النبي الحكيم ﷺ جاء بهذا القرآن في زمان كل أهله فصحاء بلغاء، بل هم أبلغ العرب وغير العرب، ثمّ ادعى إعجازه وأنه دليل على رسالته، ثمّ نادى وحثهم بلسان القرآن وقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾،[1] وأسمعهم وطالبهم بالمقابلة، وقد سعوا واجتهدوا مع تلك البلاغة والفصاحة العظيمة التي لا يملكون سواها ليل نهار لعلهم يقابلون ولو سورة واحدة قصيرة ليلزموا محمّداً ﷺ بها، ويقابلوا قرآنه في بلاغته، فلم يتمكنوا ولم يستطيعوا، إذاً فكيف يستطيع الذين هم أقل من أولئك درجة في الفصاحة، وأحط في البلاغة، ثمّ يزيدون في ذلك القرآن العظيم كلمات وآيات لا تظهر ركاكتها، ولا يعرف انحطاطها عن الأصل، ولا تتميز عن سواها، مضافاً إلى أن الإنسان الذي بهذه المنزلة الرفيعة من الفصاحة والبلاغة، وبهذا الاقتدار على تمكن إدخال كلامه ومزجه مع كلام القرآن، بحيث لا يتميز

---

(١) البقرة: ٢٣.

عنه كان الجدير به أن يفتخر على العرب، وأن يعلم نفسه لنبي العالم، وأن يريح هؤلاء البلغاء الذين أرادوا معارضة معجزة محمّد ﷺ ولم يتمكنوا ليستحقّ بذلك التقدير والإعجاب الكثير، أما أنه يدس كلامه البليغ في القرآن، ثمّ يخفي نفسه فذلك مما لا يعقل، ومما يدل على سخافته وقلة شعوره، وبهذا يظهر لك أن لا نقصان ولا زيادة في القرآن الكريم بحكم العقل والوجدان والعرف والمنطق، وأن القرآن هو هو كما ورد على محمّد ﷺ.

ولا يقال إنهم لماذا لم يقبلوا القرآن الذي قدمه لهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنه بعد أن ثبت بالدليل والبرهان أن لا تغيير ولا تحريف في القرآن، فلا معنى لهذه الرواية بل هي غير معتبرة وخالية من الصحة، وإذا أردنا تصحيحها فمعنى ذلك أنه كان من المحتمل أن يكون الإمام كان قد فسر بعض الآيات النازلة في حقّ المنافقين، وسطرها في القرآن الذي هو لنفسه أو للمسلمين وذكر أسماءهم بالصراحة فيه، ومعلوم أن هذا مما يضر بالكثير منهم، وهم متسترون لذلك فلم يقبلوه، واكتفوا بما عندهم، وحيث أن هذا لا يضر بنفس القرآن، فقد سكت الإمام عليه السلام، ولم يلح عليهم بنشر منسوخه إذ بالموجود كفاية.(١)

* * *

---

(١) إن هذه الرواية لو تمت سنداً فلا بدّ من تفسير دلالتها بنحو لا يصطدم مع ما تقدم من المؤلف.

[الإيجاز في إثبات الإعجاز]

المجلس السادس:

اعلم أن النصارى نظروا إلى عدة آيات في القرآن فجعلوها موضع اعتراض على الإسلام، قائلين إن النبي محمّداً ﷺ حسب هذه الآيات لم يكن لديه شاهد على صدق نبوته غير قرآنه، فلا معجز لديه، ولا خارق عادة كسائر الأنبياء.

إن القس (قندر) ذكر هذا الاعتراض في ميزان الحق في (صفحة ٤٤٧) مستشهداً على ذلك بأربعة مواضع من القرآن الكريم:

الأوّل: في سورة العنكبوت قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ لا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.[1]

والثاني: في سورة بني إسرائيل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ

---

(١) العنكبوت: ٥٠.

لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾(١).

الثالث: في سورة الأنعام قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

الرابع: في الأنعام أيضاً قوله تعالى:

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾(٣).

يقول هذا القس: إنّ مفاد هذه الآيات الأربع كلها أن النبي ﷺ طلبوا منه الإعجاز فلم يظهر لهم المعجزة، بل قال لهم إنما أنا بشر مثلكم، فيعلم من هذا القول أن ليس لديه معجز سوى القرآن، وإلاّ فقد كان اللازم في مثل هذا المقام أن يظهر للسائلين معجزته الخارقة ليسكتهم، ويفحم حجتهم، على أن قرآنه وحده غير صالح لأن يكون المعجز لنبوته لدى جميع العالم، إذ أنّ إعجاز القرآن لم يفهمه سوى الخواص وأهل اللسان فقط، وأما غيرهم فإن هذه المعجزة لتخفى عليهم، لعدم معرفتهم بمزايا

---

(١) الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

(٢) الأنعام: ١٠٩.

(٣) الأنعام: ٥٨.

القرآن وفصاحته وبلاغته، بل لم تظهر عند أكثر أهل الأرض، وعلى هذا إذاً لم يصدّقه غير أهل اللسان والعرب فلا تقصير لهم، بل هو قصور بالنسبة إليهم، ولا حجة على القاصر.

[الجواب]:

ونقول نحن المسلمون في جوابه:

أوّلاً: إنا لا نعترف بعدم ظهور معجزة القرآن الكريم لكل أحد، لأن القرآن المجيد كما ذكرنا سابقاً هو المعجزة الظاهرة والدليل الواضح لدى جميع الناس على صدق دعوى النبي ﷺ وأنه من الله تعالى مؤيد وممتاز، ولم يكن مختصاً بالخواص من الناس، وأهل اللسان العربي منهم.(١)

ثانياً: إنا نجيبهم بجوابين، أحدهما نقضي والآخر حلّي:

أما الجواب النقضي فنقول: بناء على ما جاء في عدد (٣٨) ومن الباب (١٢) من إنجيل متى إلى عدد (٤١) من الباب نفسه،(٢) ومن عدد

---

(١) أما كيفية المعجزة في حق غير العرب فلأنه أوّلاً برجوع غيرهم إلى أهل اللغة فاعتراف العرب بالعجز عن الإتيان بمثله دليل لغيرهم وهذا كاف في إثبات الإعجاز البلاغي للجميع هذا مضافاً أنه ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾.

(٢) جاء في إنجيل متى الإصحاح الثاني عشر العدد (٣٨) وما بعده: (حينئذٍ أجاب قوم من الكتبة والفرسيين قائلين: يا معلم نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض الثلاثة أيام وثلاثا ليال).

(٤) من الباب (١٦) من نفس إنجيل متى أيضاً[١] يعلم أن جمعاً من النصارى طلبوا من المسيح عليه السلام آية على نبوته فأجابهم عليه السلام بأن فرقة من الأشرار وأهل الزنا يطلبون آية ومعجزة، وأنا معجزتي منحصرة بمعجزة يونس بن متى النبي عليه السلام، لأنه كما بقي يونس ثلاث ليال وأيام في بطن الحوت فكذلك أنا سأبقى ثلاثة أيام بلياليها في بطن الأرض، فقالوا له (بناء على ما جاء في عدد (٣٠) من الباب (٦) من إنجيل يوحنا حتّى آخر ذلك الباب) ما تبدي لنا من المعاجز لنراها، ونؤمن بك كما نزلت على آبائنا فيما مضى المائدة من السماء. فأجابهم المسيح عليه السلام بدلاً من إظهار المعجزة: إن آباءكم لم يأكلوا الخبز الحقيقي، بل إن أبي أنزل الخبز الحقيقي من السماء عليكم، لأن خبز الله هو الذي نزل من السماء إلى الأرض ليمنح الحياة، وكذلك أنا خبز الحياة كل من يقرب مني لا يجوع أبداً، وكل من يؤمن بي لا يظمأ أبداً (إلى أن يقول): إذا لم تأكلوا جسدي، ولم تشربوا دمي فليس لكم حياة في أنفسكم. فمن أكل جسدي وشرب دمي فإن له الحياة الخالدة، وسوف أوقظه أنا في اليوم الآخر، لأن جسدي هو الأكل الحقيقي، ودمي هو الشرب الحقيقي، فمن أكل جسدي وشرب دمي فهو يظهر في، وأنا فيه فكما أن أبي الحي بعثني وأنا بأبي حي كذلك كل من أكلني، فإنه يحيى بي، هذا هو الخبز

---

(١) في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر العدد (٤): (جيل شرير فاسق يلتمس آية إلا آية يونان النبي ثمّ تركهم ومضى).

الذي نزل من السماء، لا كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا، بل إن كل من أكل هذا الخبز عاش إلى الأبد.

فلما سمع أكثر التلاميذ منه هذا الكلام قالوا: هذا الكلام صعب، فمن يمكنه أن يسمعه، لذلك مالوا عنه، ولم يصحبوه بعد ذلك.(١)

فنقول نحن: ليوضحوا لنا جماعة النصارى بأي علة وما هو السبب في ان المسيح عليه السلام بدلاً من إظهار المعجز لهم يقول أحياناً أن المعجزة تطلبها الفرقة الشريرة والزناؤن، وليست آيتي إلا آية يونس النبي. أفهل يكون تصديق النبوة بدون دليل، بل بموجب الاختيار والشهوة، أو أن معجزة النبي تظهر بعد موته، وأحياناً يقول إنكم أنتم لا يلزمكم نزول المائدة، بل أنا المائدة، جسدي المأكول ودمي المشروب، أفترى أن المسيح في الحقيقة كان هو المائدة النازلة من السماء حتّى يقول تعالوا وكلوني؟ كلا، بل لا بدّ لهذا القول من تأويل يؤولونه به، وذلك يكون المراد من ذلك: أن كلامي ومحادثاتي هي المسموعة، وأوامري هي المطاعة، وكل من صدقني فاز بالحياة الأخروية، ومن أعرض عني وجفاني ضل وهلك، وهذا التأويل أيضاً لا ربط له بإظهار المعجزة، ولا يثمر في مقام طلب الإعجاز منه سوى الدعوى، بلا مستند ولا دليل. وعليه فكل علة تعتل بها النصارى لإثبات هذا

---

(١) الكلام منقول من إنجيل متى بتصرف بسيط في الألفاظ مفيد للمعنى بلا تغيير فيه.

الكلام في إنجيلهم عن المسيح، وكل جواب يجيبون به عن هذا الاعتراض الوارد عليهم هو عين جوابنا لهم عن اعتراضهم علينا في عدم إتيان محمّد ﷺ بالمعجزة لطالبها من المسلمين، هذا هو الجواب النقضي.

أما الجواب الحلي فهو نتيجة مقدمات أربع:

الأولى: أنه ليس من الواجب على الله تعالى إظهار كل المعاجز، وجميع خوارق العادة على يد صاحب الرسالة، بل إنّ الله تعالى إذا أعطى نبيه معجزة واحدة، وكانت كافية له في تصديق نبوته فلا حقّ لأيّ أحد حتّى نفس النبي أن يطلب غيرها، وأن يراها من الواجب عليه تعالى إتيانها، وذلك لأن الغرض المتصور من إظهار المعجزة له وعلى يديه هو إثبات دعواه لتصديق رسالته، أما ما عداها إذا ما ظهرت له فهي من الله تعالى لطف ومرحمة شملت عباده، وأثبت إيمانها ويقينها.

الثانية: أنه إذا أُجيبت طلبة كل طالب معجزة عند إرادته لها من النبي ﷺ ـ ومعلوم أن كل نفس بالطبع طالبة لمشاهدة خوارق العادة ـ إذاً فكل شخص يحضر لدى النبي ﷺ واشتهت نفسه أن يرى معجزة من خوارق العادة، ثمّ أجيبت له كان مجلس النبي كمعرض تعرض فيه خوارق العادات والمعاجز، وهذا بلا ريب مما يناقض الغرض المطلوب والمقصود من إتيان المعجزة البتة.[1]

---

(١) لأن الغرض من المعجزة إثبات صدق الدعوى لا الاستجابة إلى تشهيات الطالبين.

الثالثة: أنه يجب عقلاً على كل مدع للنبوة أن يرد طلبات أمثال هؤلاء الأشخاص، وأن يسد باب الهرج والمرج كيلا ينتفي الغرض من إتيان المعجزة الخارقة في محلها لإثبات وتصديق الرسالة التي بعث من أجلها، وإلاّ فستثبت عدم عقليته بسيره وراء أهواء الناس وميولهم متى شاؤوا ومهما أرادوا، وهذا لا يكون من النبي ﷺ.(١)

الرابعة: أنه من المسلّم البديهي لدى جميع الخلق من موافق ومخالف أن النبي ﷺ محمّد بن عبد الله نبي الإسلام كان في الحكمة والعقل والفطنة والكياسة وبعد النظر والكمال أوّل رجل في العالم، كما أثبتناه لك في المجالس الآنفة مفصلاً. فكان من

---

(١) إن غاية ما يثبت بحكم العقل أنه بعد أن ثبت أن لله تعالى تكاليف جعلها في حق عباده أن يهيئ لهم المقدمات التي تطلعهم على تكاليفه، واقتضت السنة الإلهية أن يكون ذلك ببعث الأنبياء عليهم السلام كما إن الله تعالى لما مضى في سابق علمه أنه سيكون هناك مكذبون ومشككون، اقتضت حكمته أن يؤيد الأنبياء بما يثبتون به صحة دعواهم في الاتصال بعالم الغيب. هذا غاية ما يثبته العقل، أما كثرة عدد المعجزات الجارية على يد النبي ﷺ من حيث القلة والكثرة فهي تابعة لنوع المجتمع الذي يعيشه ذلك النبي وكذا الحال في استمرار المعجزة أو انتهائها بوفاة النبي تابعة لنوع الرسالة التي بعث بها، ولذا لا مجال لحكم العقل في هذا المضمار إذ الحكم العقلي كما هو معلوم لا يختلف ولا يتخلف نعم إن مسألة الكثرة والقلة في عدد المعجزات ونوعها تابعة للظروف الموضوعية التي يعيشها النبي من حيث نوع المجتمع المرسل إليه ونوع الرسالة فهي مسألة نسبية تختلف من نبي لآخر.

نتائج هذه المقدمات الأربعة أن فعل النبي محمّد بن عبد الله ﷺ في هذا الخصوص، أي رد طالبي المعجزة منه في هذا المقام الخاص وعدم إظهارها لهم في ذلك الوقت لم يكن إلا عن حكمة وعقل وتدبر وبعد نظر، وليس فيه أي دلالة على عجزه عن إتيان المعجزة، ولا على عدم قدرته عن إجابة سؤالهم كما فعل عيسى عليه السلام في عدم إظهاره المعجزة لطالبي المعجزة من عنده، وهم من أصحابه.

والنتيجة من كل ذلك هي: أن الاعتراض المذكور على المسلمين في عدم إتيان النبي ﷺ بالمعجزة في هذا المقام باطل حساً وعقلاً.(١)

* * *

---

(١) الهدف من المعجزة ليس هداية الناس بل لتمييز مدعي الحق عن الباطل بل لو استجيب لكل طالب للمعجزة التي هي من سنخ المادة لما كان نشأتنا الإيمان بالغيب وعالم الاختبار والامتحان.

[الشافية في إبطال الدعاوى الواهية]

المجلس السابع:

لمّا لم يكن للمعترضين مجال في الطعن في أصول الشرع المحمّدي الشريف، وأسس الدين الإسلامي المنيف، ولا للمنكرين مندوحة في صدق نبي الإسلام وحقية دعوته كانت جماعة النصارى ـ من باب الغريق يتشبث بالطحلب أو الحشيش ـ يتعرضون لبعض الأحكام الشرعية ببعض الاعتراضات الواهية، ويتمسكون في إضلالهم ببعض الشبهات الركيكة التي لو تأملتها بعين الحقيقة لعرفتها أنّها ليست قابلة لأن تسمع أو تقال، أو أن تصدر ممن له أدنى مسكة من التعقل، كاعتراضهم في تجويز زواج الرجل الواحد بأربعة نساء، وحرمة أخذ المرأة الواحدة أكثر من زوج واحد.

ومثل تسويغ الطلاق وتفويض اختياره بيد الرجل دون المرأة، مما يجعل المرأة مضطرة ومقهورة على قبول ذلك الطلاق قائلين أنه هل من المروءة أن يخير الرجل في أخذ النساء إلى الأربعة، وليس للمرأة أن تأخذ أكثر من زوج واحد على أنّ الشهوة الحيوانية في المرأة أكثر من الرجل بأضعاف وأضعاف،

وهل من الإنصاف أن المرأة التي تخدم في بيت زوجها مدة من السنين، متحملة زحمات البيت وتدبير أموره الشاقة، مضافاً إلى تحمل مشاق الحمل وتربية الأولاد تكون بعد ذلك كله مكرهة على الخروج من ذلك البيت، مفارقة لأولادها ومحل عيشها وحياتها طيلة أعوام وسنين كثيرة. هذا من جهة ومن جهة أخرى أيضاً هل يبقى لها اعتماد على زوجها، أم هل تعتبره زوجاً دائمياً لتنصح له بكل قواها؟ لا، بل تكون ترى نفسها كالأجنبية، وتسلك معه سلوك الأجنبي مع الأجنبي، كما أنها ستهمل تدبير وتنظيم الأمور البيتية والمعاشية التي تناط بها وتحول عليها، فتتلف وتسرف في الأموال الراجعة لزوجها لعدم اطمئنانها ببقائها في هذا البيت، لأن الطلاق بيد الزوج لا بيدها، وهذا الحكم من الأحكام في الإسلام مخالف للحكمة، ومنافٍ للعدالة، ومثبت لبطلان الدين الإسلامي، إذ ليس مثل هذه الأحكام من أحكام المقنن الحكيم، ولا من القوانين المقننة لمؤسس الشريعة المستحكمة، مضافاً إلى أنها ليست من الأمور المعقولة لدى العقلاء.

ونقول: إنّ الجواب عن أمثال هذه الاعتراضات السخيفة على دين الإسلام هي في غاية الظهور ونهاية الوضوح، ونحن بإمكاننا أن نرد هذه الاعتراضات، ونكشف في بيان العلل والمصالح لجميع الأحكام، ولكن لما لم نكن محتاجين في مثل هذا المقام إلى الأطناب في بيان العلل والمصالح لبطلانها بالحس

والوجدان والعقل والبرهان اكتفينا هنا بدليل واحد، وبطريق الاختصار ليفسد أمثال هذه الاعتراضات بالكلية، ويظهر بطلانها وفسادها بكل وضوح وجلاء وذلك:

أوّلاً: إنّ المعترض إمّا أن يكون مصدقاً برسالة محمّد ﷺ وهي ثابتة لديه، وإما أن يكون منكراً لها غير ثابتة عنده، فإن لم تكن ثابتة عنده انتفت الصحبة في أصل الرسالة والتجسس والتفحص عن صدق الدعوى للنبي ﷺ بالكلية، وعليه فالتشبث بمثل هذه الاعتراضات الواهية لا معنى لها، وهي مستقبحة في نظر العقل ومستهجنة لدى العقلاء.(١)

أما إذا كانت الرسالة ثابتة ـ لدى الواقع والحقيقة ـ فاللازم لمن لديه تصديق للدعوى هو الانقياد والتسليم، فحينئذٍ لا يبقى لديه محل للاعتراض، وكان كلامه كله فضولاً وزائداً.

ثانياً: إنّ العقول القاصرة في بني نوع الإنسان لا شك أنها غير مستعدة، لإدراك جميع الأعمال والأفعال وفسادها، ولا الإحاطة بوجوه المصالح والحكم في الأحكام الشرعية كافة، كما هي حقها، إذ لو لم تكن كذلك لما بقي وجه وجيه لبعث الأنبياء، وإرسال القوانين العادلة أبداً، وعليه فليس للعقل حكم غير تمهيد القوانين المستقيمة، وتدبير الأحكام المسكنة للهرج والمرج بين

---

(١) للمستشكل أن يقول: هذه الأحكام الباطلة والظالمة كاشفة عن بطلان الرسالة فلا بدّ من التركيز على كون هذه الأحكام ليست باطلة بحكم العقل والعقلاء.

الناس، وتنظيم قوام التمدن بين الملل المختلفة، كمثل حفظه للمواساة وإجراء السياسات، ثمّ إيكال ذلك إلى الإنسان نفسه.

وبناء على ذلك أن الإنسان إذا عِلم أن العقل قاصر عن إدراكه وجه صلاح بعض جزئيات الناموس الإلهي، أو أن يراه مخالفاً للحكمة في نظره بادئ بدء فليس من المناسب أن يحكم على ذلك الجزئي أنه فاسد، ثمّ يعترض عليه دون روية أو تأمل، بل يجب عليه في مثل هذا المقام أن ينسب القصور إلى عقله، وأن ينزه صاحب الناموس عن ارتكاب مخالفة الحكمة، ويبرئه عن منافاة المصلحة، فإنه بعد أن ثبت لديه أن صاحب الحكم مؤيد بالتأييدات الإلهية، مميز بالامتيازات الربانية لا بدّ وأن يعتقد أن هذا الحكم وإن خالف ظاهره الصلاح، أو قرب في نظره من الفساد فإنه في نفس الأمر والواقع صالح موافق للحكمة،(١) وأنه لو ظهرت حكمته لا يقوم رأي المعترض فيه، ولعلم أن الحكم كان يلزم أن يكون هكذا، كما ورد من صاحب الناموس، وكما قرر على لسان هذا النبي الثابتة رسالته، وهذا كالسابقين في صدر

---

(١) الجواب في المسألة:

تارة الأحكام لا تتنافى مع حكم العقل وحكم العقلاء. نعم تتنافى مع الاستحسانات والقوى غير العقلية للإنسان أو العقل غير الشمولي فلا يعد هذا الحكم منقصة. وأخرى الحكم يتنافى مع حكم العقل القطعي فهذا الحكم لا بدّ من تأويله والعمل بغير الظاهر ثمّ إن معظم ما ذكر من الأمثلة هي محل خلاف لدى العقل. نعم ربما في بعضها إنها شر نسبي في مقابل الخير الكثير وهو شأن عالم التزاحم.

الإسلام وغيرهم، فلقد كانوا يعترضون أمثال هذه الاعتراضات كحرمة شرب الخمر وأشباهها ولكنهم بالتدريج التفتوا إلى علل تلك الأحكام وعرفوا أنهم كانوا مقصرين في اعتراضهم، ولعل المعترضين اليوم كالسلف من المعترضين سيلتفتون تدريجاً لصلاح هذه الأحكام، وفساد اعتراضهم جلياً واضحاً وضوح نور الشمس.[١]

* * *

(١) ولعله لو أقيمت دراسة في مجتمع تعدد الزوجات كما هو حال مجتمعات المسلمين في القرون السابقة ومجتمع وحدة الزوجة كما هو مجتمع المسلمين وغيرهم اليوم ودراسة الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي يعيشها المجتمع المعاصر يتضح الفرق، ويعلم معه سلامة التشريع وفساد الاعتراض.

فيما وقع في

التوراة والإنجيل من الأغلاط والزخارف

المجلس الثامن:

لما اشتد إهمال المسلمين، وارتخت هممهم في المحافظة على دينهم المبين، وحراسته من الحوادث والطوارئ والصدمات من قبل الأجانب. اغتنم الصيادون ولاسيّما النصارى فرصة الإغواء والإضلال لبسطاء المسلمين وجهالهم، فوضعوا لهم شباك حيلهم ومكرهم في كل ممر ومعبر قاصدين بتدليسهم وتلبيسهم صيد العوام، ناشرين كتب العهد العتيق والعهد الجديد _ اللذين لم يبقَ منهما ولا صفحة واحدة في العالم سوى المزخرفات _ بين المسلمين، زاعمين أن هذا العامي المسكين إن لم يعتقد بمزخرفاتهم فلا أقل يتزلزل عن عقيدته الإسلاميّة، ويشك في دينه الذي كان عليه، وهذا كافٍ في تبشيرهم، [و] نتاج مقبول لدى كبار قسيسيهم، لذلك فقد أصبح من الواجب علينا أن نبيْن نبذة من المزخرفات والأغلاط الموجودة في تلك الكتب في عدة مجالس من المجالس الآتية، لنلفت العوام إلى بطلانها.

فمن مزخرفات العهد القديم ما وقع في الباب الثالث من

(سفر الظهور) الذي يذكر فيه قصة آدم وحواء، وأكلهما من الشجرة وهاكها من أوّل الباب إلى آخره ليتضح لك المطلب وتتجلى الخرافة:

(والحية كانت من أذكى الحيوانات الصحراوية التي خلقها الله تعالى، قالت للمرأة: هل قال الله حقيقة لا تأكلوا من جميع أشجار الجنّة؟

قالت المرأة للحية: إنا لنأكل من ثمار الأشجار، ولكن لا نأكل من الشجرة التي هي في وسط البستان، فقد قال الله تعالى لا تأكلوا منها ولا تلمسوها لكيلا تموتوا.

قالت الحية للمرأة: إنّكم لا تموتون بل أن الله يعلم أنكم في اليوم الذي تأكلون منها تفتح عيونكم، وتكونون مثل الله عارفين الحسن والقبيح.

ولما رأت المرأة أن تلك الشجرة جيدة للأكل، جميلة جذابة مزيدة في المعرفة عمدت إلى ثمرها فأكلت منه، ثمّ أعطت لزوجها فأكل. وانفتحت عيناهما، وشعرا أنهما عريانان فعمدا إلى ورق التين ولصقا بعضها ببعض وتسترا به. وسمعا صوت الرب مع نسيم الربيع في الجنّة، فاختفى آدم هو وحوا بين الأشجار حياء من الرب.

فنادى الرب آدم قائلاً: أين أنت يا آدم؟

فقال آدم: سمعت صوتك يا رب، فخشيت لأني عريان فاختفيت.

فقال الرب: ومن أعلمك أنك عريان؟ أهل أكلت من الشجرة التي منعتك أن تأكل منها؟

فقال آدم: إنّ هذه المرأة التي جعلتها قرينتي هي التي أعطتني من ثمر[ه] فأكلته.

فقال الرب للمرأة: ما كان هذا العمل الذي عملتيه؟

فقالت المرأة: الحية هي التي أغوتني فأكلته.

فقال الرب للحية: لأنك عملت هذا العمل فقد جعلتك ألعن جميع البهائم والحيوانات الصحراوية. فسوف تمشين على بطنك، وستأكلين التراب طول عمرك، وسأجعل العداوة دائماً بينك وبين المرأة، وبين ذريتك وذريتها، هي تسحق رأسك، وأنت تلذعين رجلها.

وقال للمرأة: أما أنت فسوف أكثر آلام حملك وآلام وضعك لأولادك، وأزيد في شوقك لزوجك، ثمّ أسلطه عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت كلام زوجتك، وأكلت من تلك الشجرة التي أمرتك بأن لا تأكل منها فقد صارت الأرض ملعونة بسببك، وستبقى فيها طول عمرك، وأنت تأكل منها بكل مشقة، وستنبت لك الشوك والحسك وستأكل خضر الصحراء، ولا تأكل خبزك إلاّ بعرق الجبين، حتّى ترجع إلى الأرض التي منها خرجت، لأنك أنت تراب، وسترجع إلى التراب، ولقد سمى آدم زوجته حواء لأنها أم جميع الأحياء.

ثمّ قال الرب: إنّ الإنسان صار كأحدنا، يعرف الحسن والقبيح لذلك، فلا يمد يده أيضاً إلى شجرة الحياة فيأكل منها

ليبقى مخلداً، ثمّ أخرج الرب آدم من جنّة عدن ليعمل في الأرض التي خرج منها، وتكوّن من ترابها، ولما أخرج آدم من جنّة عدن وأسكن الكروبيان في الطرف الشرقي منها، ثمّ أدار السيف الذي تمطر منه النار بجميع الأطراف ليحفظ الطريق عن شجرة الحياة، ويحافظ عليها من الأكل) انتهى.[(١)]

أقول: أقسم عليك بالإنصاف والوجدان، هل يتكلم بمثل هذا عاقل؟ هل يمكنك أن تنسب هذه الأمور التافهة التي لا طائل تحتها إلى شخص ذي أدنى شعور؟ سبحان الله لا أعلم كيف أن اليهود والنصارى سموا هذا الكتاب (بالكتاب المقدس) ثمّ نسبوه إلى الله تعالى.

هل عميت بصائرهم أم أن العصبية والعناد وتقليد الآباء والأجداد اضطرهم على تصديق هذا الكتاب السخيف؟

نعم: إذا تجنّبوا العصبية ونظروا إلى الحقيقة بعين الإنصاف لرأوا أن تصديقهم لمثل هذا الكتاب وتقديسهم لمثل هذه الترهات ليس إلاّ إعراضاً عن الحقّ واقتحام في لجة الضلالة والهلكة.

أنظروا أن هذا الباب من الكتاب المقدس وما ذكر فيه إلى أيّ حد ومن كم جهة هو مخالف للحسن ومناف للعقل والوجدان؟

---

(١) هناك خلاف في الألفاظ بين ما ذكره المصنف ﵀ والنصوص الموجودة في كتاب العهد القديم والجديد، لكن المعنى واحد حول الموضوع. أنظر: الاصحاح الثالث من سفر التكوين.

أوّلاً: يلزم من ذلك أن يكون الله جسماً، لأن التنزه في الجنّة واختفاء آدم وحواء منه، لدليل واضح على جسميته.

ثانياً: إنّ كون آدم وحواء عريانين، وأنهما لم يشعرا بالحسن والقبيح مناقض لما جاء في عدد (٢٧) من الباب الأوّل من هذا السفر ـ سفر الظهور ـ[١] فقد جاء فيه أن الله تعالى خلق آدم[٢] على صورته، فإن المراد من خلق آدم على صورة الله لا بدّ وأن يكون عالماً مدركاً، كما أن الله هو عالم مدرك، وإلاّ فإن الله ليس بجسم ليخلق آدم على صورته، كما أنه مناف لما جاء في عدد (١٩) من الباب الرابع من نفس هذا السفر إذ يقول: (إنّ الرب أتى بكل حيوان صحراوي، وكل طير في السماء إلى عند آدم ليرى ماذا يسميها، وأن آدم بكل اسم نادى كل ذي حياة صار له ذلك اسماً).[٣]

أقول: إن الذي لا يدرك ولا يشعر بقباحة عريه، وأنه مكشوف العورة كيف يليق أن يجعله الله واضعاً لأسماء الحيوانات، والحال هو أيضاً عديم الشعور كالحيوانات.

ثالثاً: إنّ قول الرب (على زعمهم) أن هذا الإنسان صار

---

(١) في التوراة يطلق عليه اسم سفر التكوين.

(٢) في النص التوراتي: (الإنسان)، الإصحاح الأوّل العدد (٢٧).

(٣) في النص التوراتي في سفر التكوين الإصحاح الثاني العدد (١٩): (وجلب الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكما دعى به آدم ذات نفس حية فهو اسمها).

واحداً مثلنا تدل كلمة (نا) على تعدد الله تعالى، لكن (نا) لا تستعمل إلاّ في مقام الجماعة وفي موضع التعدد.[١]

رابعاً: إنّه كيف يعقل هذا الكلام عنِ الله ﷻ أنه خوفاً من أن يأكل آدم وحواء من شجرة الحياة فيخلدان في الحياة أخرجهما من الجنّة وأسكن في الطرف الشرقي من عدن الكروبيين، وجعل لحفظ تلك الشجرة سيفاً يقطر ناراً ويدور في كل طرف.

أترى أن الله العالم بارئ الخلائق غير قادر على إبعادهم عن نفس الشجرة فقط دون إخراجهم ودون أن يخلق سيفاً يقطر ناراً، ويدور في الأطراف لحفظها، أم أنّ الله لم يتمكن من أن يميتهم وإن أكلوا من الشجرة ثمّ لا يحييهم إلى الأبد.[٢]

أنظر إلى هؤلاء اليهود والنصارى وعظيم جسارتهم وكبير جرأتهم كيف جعلوا الله متصفاً بصفة العجز والاحتياج، ثمّ لم يكتفوا بذلك حتّى نسبوا إليه أمثال هذه الترهات والمزخرفات التي لا طائل تحتها، ولا تليق بقدسه وجلاله تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

* * *

---

(١) المراد من الواحد هو الواحد الكلي الذي يستدعي التعدد لاسيّما بمقايسة الرب بالإنسان.

(٢) إن النص ظاهر في العجز وهو مناف لحكم العقل إلاّ أن يؤول ويحمل على خلاف الظاهر.

[التدقيق في بيان أغلاط العهد العتيق]

المجلس التاسع:

ومن جملة أغلاط العهد العتيق عبارات وقعت مسطورة في الباب السادس من ـ سفر الظهور ـ[1] من عدد (١) إلى عدد (٨) وهي قوله: لما أحدث بنو آدم في الازدياد على وجه الأرض، وتولدت لهم بنات كثيرة ولما رأتها أبناء الرب جميلات حسنات المنظر تزوجوهن فقال الرب: إنّ روحي لا تحل في الإنسان لأنه هو أيضاً بشر، ولكن أيامه ستكون مائة وعشرون عاماً، وفي هذه الأيام كان بنو آدم أشداء أقوياء في الأرض. ولما طلع بنو الرب على بنات بني آدم وأولدت لهم أولاداً كانوا جبارين، وكان في زمان السلف مشهورين، فرأى الرب أن شرارة الإنسان في الأرض قد كثرت، ولم تزل خيالاته وتصوراته في تلك الشرارة لذلك فقد ندم على خلقه للإنسان على وجه الأرض، وحزن في قلبه وقال: إنّ الإنسان الذي خلقته سوف أمحيه من على الأرض هو والبهائم والحشرات والطيور، لأني أسفت على خلقي لها، انتهى.[2]

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح السادس.

(٢) الترجمة المذكورة متطابقة معنى مع النص التوراتي، ولكنها تخالفه لفظاً في بعض الموارد.

أقول: إنّ هذه العبارات غلط من جهات كثيرة، مضافاً إلى مخالفتها للحسن:

أوّلاً: إنّا نقول ما المراد من أبناء الرب؟ هل هم أبناؤه الجسمانية أم الروحانية، فإن كانوا أبناءه جسماً لزم أن يكون أبوهم وهو الرب جسماً، وإن كانوا أبناءه روحياً بمعنى أنهم أصحاب فضل وعلم لا يرتكبون الموارد والأمور التي لا طائل تحتها، مثل الرب ليطلق عليهم اسم أبناء الرب، وهذا مما يتنافي وفسقهم ببنات آدم، وذلك واضح جلي لا يحتاج إلى برهان ولو سلمنا بعدم منافاته بمعنى أنهم عارفون بالحسن والقبيح مثل أبيهم الرب ولكن تكون المنافاة من جهة المسيح، وكونه (ابن الرب) لأنه يلزم من ذلك أن يكون كل الناس أبناء الله ولا وجهة لتخصيص البنوة بالمسيح فقط، غاية ما في الباب أن المسيح هو ابنه الصالح.

وهذا أيضاً لا يخصص البنوة به دون غيره من الناس.

ثانياً: إنّ قولهم أن الرب ندم على خلقه للإنسان يلزم منه أن يكون الله جاهلاً غير عالم بعواقب الأمور، ولا مطلع على ما ينتج من فعله؛ لأن الندامة وتغيير الإرادة ناشئ عن الجهالة وعدم العلم، وإلا فإن العالم المطلع على عواقب الأمور لا يندم على فعله ولا تتغير إرادته.

ثالثاً: إنّ الله تعالى هل له قلب يكون قلبه متأسفاً محزوناً؟[١]

رابعاً: إنّ الله تعالى يلزم على قوله أن يكون كاذباً مخالفاً للواقع من جهتين:

أحدهما: أن الرب على قولهم أنه قال: بعد هذه الأيام (أيام الطوفان) ستكون أيام الإنسان وعمره مائة وعشرين سنة، على أنك إذا قرأت الباب الحادي عشر من (سفر الظهور) من عدد عشرة إلى آخر الباب ولاحظت ما سطر فيه لرأيت أن أشخاصاً كثيرة متعددة عاشوا بأكثر من مائة وعشرين سنة، هذا سام وأرفخشد وشالخ وغيرهم، فإن سام عاش ستمائة سنة وأرفخشد أربعمائة وثمانية وثلاثين سنة وشالخ أربعمائة وثلاثة وثلاثين سنة إلى غير هؤلاء.

وثانيهما: أنه يلزم من قوله تعالى سأمحي الإنسان والبهائم والحشرات وطيور الهواء من على الأرض لأني أسفت على خلقهم، أن لا يبقى من كل هؤلاء وأولئك حتّى نفس نوح النبي

---

(١) يريد المصنف أنه في حال عدم القول بالتجسيم عندهم يمكن حملها على خلاف الظاهر، أما مع القول بالتجسيم كما هو ظاهر العديد من النصوص الواردة في التوراة فالإشكال وارد على أصل قضية التجسيم ومن خلالها يعلم بطلان نسبة الكتاب إلى موسى عليه السلام.

عليه السلام يجب أن لا يبقى بعد الطوفان،[1] وأن يمحى حسب قوله تعالى على زعمهم، ولكن جاء في نفس الباب السادس هذا: إنّ الرب نجى جمعاً من بعد الطوفان، ولم يمحهم وهم منهم التناسل والتوالد، وهم كانوا سبباً في ازدياد هذا النوع الإنساني.[2] فانظروا بعين البصيرة أن كتاباً يكون في قليل من أسطره مثل هذه الأغلاط الفاحشة الصريحة والخرافات الواضحة كيف ينسب إلى الله تعالى، حاشا ثمّ حاشا الله تعالى المنزه عن أن يكون له مثل هذا الكتاب، وأن ينزله على نبيه، وأنه تعالى لبريء ممن جعل هذا الكتاب له، ونسبه إليه ليضل به الخلق، ويحيد بهم عن الصراط المستقيم.

وبديهي أن تقديس اليهود والنصارى لهذا الكتاب وتصديقهم إياه لم يكن إلا للعناد والمكابرة والعصبية، وتقليداً للآباء والأجداد تقليداً أعمى لا عن بصيرة وتعقل وتأمل، كما مر

---

(١) قد يقال ورد في الإصحاح السادس العدد (٨) من سفر التكوين: (وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب)، فهو استثناء لنوح عليه السلام فيكون المقصود: (إني أسفت على خلقهم إلاّ نوحاً) وفيه ثو تم هذا الاستثناء في جميع النصوص التوراتية لا ندفع الإشكال عن نوح النبي لكن يبقى الإشكال قائماً على من آمن معه.

(٢) في سفر التكوين الإصحاح الثامن العدد (١٦ و١٧): (أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسد الطيور والبهائم والدبابات التي تدب على الأرض أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض.

عليك في المجلس السابق أعاذنا الله من الضلالة والغواية، وهدانا إلى سبيل الرشاد والهداية.

ثمّ لا يخفى أن مصدقي هذا الكتاب لا يمكنهم تأويل أغلاط هذا الكتاب، ورفع الاعتراض والإيراد عنه لأنه:

أوّلاً: إن بعضها غير قابل للتأويل كأبناء الرب كيف يؤولونها، وقد بينا أنهم ليسوا أبناءه الروحيين ولا أبناءه الجسمانيين، ومثل ذلك حياة مدة (١٢٠) عاماً، والحال أنهما نصٌّ في المقصود غير محتمل خلافه.

ثانياً: أنه على فرض قابلية تأويلها فهي مع ذلك لا تؤول، لأنهم ـ أي النصارى ـ تشبثوا ببعض ظواهر الآيات القرآنية، واعترضوا بها على المسلمين، ثمّ لم يقبلوا من المسلمين تأويلها على خلاف ظاهرها الذي يفهمونه هم، بل ردوا ذلك التأويل من المسلمين، فكيف يمكنهم أن يقبل منهم أن يؤولوا خرافات كتابهم وأغلاطه في رفع إيراد المسلمين عليهم، فإذا جاز لهم أن يؤولوا آيات كتابهم جاز لنا ووجب عليهم قبول تأويلنا لآيات القرآن في مقابلتهم لاعتراضاتهم الواهية وإيراداتهم الركيكة.(١)

* * *

---

(١) هذا يتم في حال الجدل والمناظرة من باب الإلزام لا في أصل قابلية المبحث للتأويل أو عدمه فالبحث في مقامين الأوّل المطلب من حيث هو، والثاني الأصول المعتمدة عند المناظرة بين الفريقين.

[التقولات المذكورة في الكلمات المسطورة]

المجلس العاشر:

ومن الأغلاط المذكورة الكلمات المسطورة في العدد (٢١) من الباب الثامن من (سفر الظهور) إلى آخر ذلك الباب هي قوله: وشمّ الرب رائحة طيبة فقال في قلبه: إني لا ألعن الأرض بعد هذا بسبب الإنسان، لأن خيال قلب الإنسان رديّ من الطفولة،[1] ولا أهلك جميع الحيوانات كما كنت فعلت مادام الدهر، وما دامت الدنيا ولن أوقف الزرع والحصاد، ولا البرد والحر في الشتاء والصيف، ولا الليل ولا النهار.

أقول: إن هذه الكلمات الفارغة السخيفة، مخالفة للحسن، منافية للعقل. ذلك لأنه يلزم:

---

(١) في النص التوراتي في العدد (٢١) من الإصحاح الثامن: (فتنسم الرب رائحة الرضا) ولعل ترجمة النص هي السبب في بناء المصنف ﷺ المترجم على شم الرب للرائحة الطيبة. وما لزمه من إثبات الجسمانية من خلال هذا المقطع مع إمكان حمله على رضا الرب عن نوح عليه السلام ومن كان معه بعد أن دل النص التوراتي أنهم بنوا محلاً للعبادة وقربوا لله القرابين. مع ملاحظة إن عدم دلالة هذا النص على التجسيم لا يعني خلو التوراة عن نصوص أخرى مثبتة له تعرض لها المصنف ﷺ في الأوراق المتقدمة، ومعه يثبت عدم نسبة التوراة لموسى عليه السلام ويثبت التحريف.

أولاً: أن يكون للرب أنف يشم به الرائحة الطيبة، وقلب يقول به إني لا ألعن الأرض بسبب الإنسان، ومعلوم أن الله تعالى ليس بجسم ليكون له قلب وأنف.

وثانياً: يلزم من هذه الكلمات أن يكون الرب تعالى جاهلاً غير عالم بأفعاله، يندم على الفعل، وتتغير إرادته يهلكه مرة، ويتأسف على هلاكه مرة أخرى، ويقول في قلبه إني لا أرتكب بعد هذا مثل هذا العمل ولا أهلكه.

فالحظوا أن هذا الكتاب المجعول الذي الستة أوراق من أوله على هذا القدر من الأغلاط والخرافات، كما اتضح لك ذلك من هذه المجالس الثلاثة المتقدمة، على هذه الأوراق قيسوا ساير أوراق الكتاب وانظروا كم يوجد من أمثال هذه الترهات، ومن أجل هذا ترى جمعاً من هؤلاء النصارى تركوا الدين ورجحوا عدم الديانة على مثل هذه الديانة المملوءة بالخرافات، ثمّ قالوا بأن الطبيعة هي الخالقة، وذلك بعد اطلاعهم على هذا الكتاب غير المعقول، والذي كل ما فيه يدل على عدم نزوله عن الله تعالى، وأن ترك هكذا كتب وعدم تقديسها وتصديقها أولى من اعتبارها كتباً سماوية يستحسن العمل بها. وفي الحقيقة إنّ هؤلاء وإن خالفوا العقل في مخالفتهم لله في طبيعتهم، وإنكارهم لله عزّ اسمه، ولكنهم في عين الوقت وافقوا حكم العقل في تكذيبهم وتوهينهم لمثل هذه الكتب المجعولة، مراعين في ذلك الإنصاف والحقيقة في ردهم من صدقها وقدسها دون رويّة وتعقل.

ثمّ أن هؤلاء المصدقين من النصارى أعرضوا عن اعتراضات أصحابهم المارقين عن دينهم، ووجّهوا اعتراضاتهم بوجوه، وألبسوها غير لباسها، ثمّ اعترضوا على قرآن المسلمين الخالي من كل خرافة أو أغلاط.

فاسمع بعض اعتراضات أصحابهم على هذا الكتاب المقدس:

أوّلاً: أنه من سطر في أواخر الباب (٧) من السفر المذكور أن الطوفان في زمن النبي نوح قد غمر الأرض، وغطى حتّى الجبال الشامخة، وأهلك كل ذي حياة على وجه الأرض من إنسان وطيور وسائمة وحائمة، سوى جماعة قليلة لم يغرقوا، والحال أن هذا الأمر مستحيل غير ممكن.

أوّلاً: لأن مادة الأرض ليس فيها استعداد لأن يفور منها الماء بقدر ما يستر وجه الأرض، ويغطي حتّى الجبال الشامخة، نعم يمكن ذلك بأن يغطي بعض البلاد أو الوديان أو المنخفضات من الروابي لا جميع سطح البسيطة.(١)

---

(١) قد يقال: إن هذا الاعتراض غير وارد بل هو خلاف دلالة بعض الآيات الشريفة حيث قال تعالى على لسان ابن نوح: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود: ٤٣) ولو قيل بأنه غرق قبل أن يصل إلى القمة فإن الطيور أو بعضها كان يمكنها أن تصل إلى القمم ومعه لا حاجة لحمل نوح إياها معه في الفلك بل يمكن أن يلجأ نوح عليه السلام ومن معه إلى قمم الجبال دون الحاجة إلى عمل الفلك.

وفيه لعل الطوفان اختص بعض مناطق العالم التي كان يسكنها الإنسان ونحوه آنذاك ونزول الطوفان في زمن لا يمكن الانتقال إلى مناطق أخرى.

ثانياً: أن هذا الأمر إذا كان صحيحاً كان الواجب أن يذكره التاريخ، وتطريه كتب السير، لأن هذا أمر عمومي وقصة كثيرة الاهتمام، على أنه لم يرسمه أيّ كتاب من كتب التاريخ سوى كتبكم، ومن هذا علم أن المطلب كذب وباطل من أصله، ولا أساس له من الصحة.

ثالثاً: أنّ اللازم على الله هو هلاك جميع من على الكرة الأرضية، وأن لا يبقى منهم أي فرد من كل ذي حياة أبداً، لأن الباعث لهلاكهم _ كما في الباب السادس من السفر _ هو فسقهم وفجورهم، وندم الرب على خلق الإنسان، إذاً كيف ينجى نوحاً وابنه من تلك النقمة، وهاتيك الورطة وقد قال الله تعالى لم يبقَ كل ذي روح، على أن نوحاً هو نفسه كان _ بموجب هذا الكتاب _ من أهل الفسق والفجور (والعياذ بالله) ذلك لأن ما جاء في عدد (٢١) من الباب التاسع من السفر المذكور ليدل دلالة صريحة على شربه للخمر وسكره، على أن العدد (٩) من الباب العاشر من (سفر الأديان) صريحة في حرمة الخمر[١] وكل مسكر حرمة أبدية، كما أن ابنه حام أيضاً فاسق (والعياذ بالله) بمقتضى هذا الكتاب، لأن العدد (٢٢) من الباب التاسع من هذا السفر (سفر الظهور) إلى العدد (٢٨) من نفس الباب يدل دلالة واضحة على

(١) إن كلام المؤلف محمول على قبح شرب الخمر وأنه ما بعث الله نبياً قط إلاّ بتحريم الخمر وأنه لا بدّ من عصمة الأنبياء من هذا الجانب.

أن (حام) أخبر إخوته بأن أباه عريان، وأن نوحاً لما أفاق من سكره واطلع على قوله وفعله لعنه ونفره، وعلى هذا تكون نجاة نوح وابنه من الطوفان مخالفة لإرادة الرب بمحو جميع الناس، ومعلوم أن أمثال هذه الإيرادات لا ترد على قرآن المسلمين، لأن القرآن لم يذكر كما في هذا السفر أن الله تعالى ندم على خلقه للإنسان حتّى ابتلاهم بالطوفان، وفارت الأرض حتّى غطت الأرض والجبال الشامخة، كما أن القرآن أيضاً لم يذكر أن نوحاً عليه السلام كان شارباً للخمر (والعياذ بالله) أو أنه كان يرتكب المعاصي. وحاشا للقرآن الكريم أن يقول أمثال هذه الخرافات، فهو منزه بريء من كل تلكم الواردات على الكتب المجعولة الكاذبة.

* * *

[خلاصة الرد على بطلان ما ورد]

المجلس الحادي عشر:

نحن وإن لم نطلب في هذه المجالس بيان تلك الإيرادات وتصديقها من قبل هؤلاء (الطبيعية) منهم التي أوردوها على كتبهم الجعلية، ولكن ذكرناها لأن المجالس السابقة جرّتنا إلى ذكر ذلك، ولكنا نريد الآن في هذا المجلس (١١) أن نتكلم في هذه المقولة لتوضح لك اعتراضات المصدقين لتلك الكتب الجعلية على المسلمين هي عين الاعتراضات التي يوردها عليهم أصحابهم المنفصلون عنهم، والشاعرون بأغلاط كتابهم، لكنهم يصبونها بطريق آخر، ولا يجيبون عنها لعدم استطاعتهم الجواب، نظراً لحقيقة ورودها واستحالة الجواب عنها، فنقول:

إنّ من جملة إيرادات أصحابهم على كتابهم المقدس: أنه ذكر في العدد (٨) من الباب (٣٨) من كتاب أشعيا: أن الظل الذي كان واقعاً على الساعة الشمسية سنرجعه إلى الوراء بمقدار عشر درجات، وبالفعل رجعت الشمس القهقرى قدر عشر درجات. وفي العدد (١٣) إلى (١٥) من باب (١٠) في صحيفة يوشع (٩) مكتوب: وهناك في اليوم الذي سلّم الله الأمور إلى بني إسرائيل

تكلم مع الله في حضور بني إسرائيل، وقال: قفي يا شمس برجعون، وأنت يا بدر توقف على وادي إيلون فوقفت الشمس وتوقف القمر حتّى انتقم القوم من أعدائهم، فما هذا التناقض وقد كتب في الكتاب أن الشمس وقفت في وسط السماء، وفي أواخر اليوم غابت، ولم تعمل في نزولها في الأفق، ولم يكن يقع مثل هذا قبل ذلك اليوم ولا بعده، لأن الرب كان يحارب لبني إسرائيل، انتهى.

والحال أنّ هذه الكلمات كذب غليظ من عدة جهات.

أوّلاً: يلزم أن تكون الشمس في الفلك هي التي تدور حول الأرض، وهذا خلاف للواقع لأن العلوم والكشفيات قد أثبتت بضرس قاطع أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، بل إنّ الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، وذلك لحصول الليل والنهار، ولحدوث الفصول الأربعة أيضاً.

ثانياً: أن هذا المطلب لو كان صحيحاً لدوّنته وذكره جميع مؤرخي ملل الأرض، لأن توقف الشمس مدة عشر ساعات مما لا يخفى على كل أحد لاختلال كل منطقة بمنطقتها في طول نهارها وقصره، على إنا لم نجد ولم نسمع أن تاريخاً أو كتاباً ذكر ذلك.

ثالثاً: أنه كيف أن يوشع يأمر ويحكم على الشمس والقمر بالتوقف في وقت واحد، وهما لا يجتمعان في محل واحد، ولا

في وقت واحد، لأنه إذا كان الوقت ليلاً فلا نهار وإذا كان نهاراً فلا ليل.[١]

رابعاً: مع قطع النظر عن هذه الأمور نقول: إذا كان ذلك التوقف المذكور صحيحاً فإنه مخالف لما ذكر في آخر الباب (٨) من سفر الظهور الذي جاء فيه: ما دامت الأرض باقية الخ، فعلى هذا أن هذه الإيرادات كاشفة عن أن كتابكم هذا غلط وباطل، وأنّ تصديقكم وتقديسكم له ليس إلاّ جهل وسفاهة، ويعلم مما سمعت من الإيرادات الواردة من قبل شعبة منهم عليهم أن اعتراض جماعة النصارى على المسلمين في مسألة شق القمر مأخوذ من هذا الإيراد الوارد في كتابهم، ولم يرد على المسلمين أبداً كما هو الواضح.

وحيث ذكرنا بعض اعتراضات الطبيعيين من النصارى على العهد العتيق المجعول ناسب أن نذكر بعض الإيرادات الأخرى منهم على العهد الجديد أيضاً، وإن كانت هذه المجالس لم تعقد لمثل ذلك فنقول: إنّ من جملة تلك الاعتراضات الواردة في حق عيسى عليه السلام في عدد (١٨) من الباب (٢١) من نفس ذلك الباب

---

(١) هذا الإشكال وارد فيما إذا كان الموضعان في موقع من الأرض لا يمكن فيه الاجتماع وإلا فلا، ومع فرض وروده يثبت كذب الدعوى أو التصحيف ومعهما تنتفي النسبة إلى الأنبياء عليهم السلام لعدم إمكان الخطأ عليهم لعصمتهم أوّلاً، ولو كان مصحفاً لم يؤمن من وقوع التصحيف في مواقع أخرى، ومعه لا يكون الموجود ثابت النسبة للأنبياء عليهم السلام وبه يثبت التحريف وعدم صحة النسبة.

مسطور: ... الخ[١] وفي العدد (١٢) الباب (١١) من إنجيل مرقس إلى العدد (١٥)[٢] من نفس ذلك الباب مكتوب... الخ[٣] وبعده آيات أخرى في عدد (٢٠) مكتوب... الخ انتهى.

فعلى هذه الكلمات عدة إيرادات:

أوّلاً: إنّ هذين الموضعين مختلفان مع بعضهما، لأن الموضع الأوّل من إنجيل متى يدل على أن تلاميذ عيسى عليه السلام رأوا شجرة التين يابسة في نفس الساعة التي لعنها عيسى عليه السلام والموضع الثاني من إنجيل مرقص يدل على أنه لم تكن رؤيتهم ليبوسة الشجرة إلا بعد زمان، وهو بموجب العبارة وقت الصبح.

ثانياً: أترى أن عيسى عليه السلام لم يكن ليعلم أن الموسم لم

---

(١) في إنجيل متى الإصحاح (٢١) العدد (١٩): (فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها: لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة في الحال).

(٢) في إنجيل مرقس الإصحاح الحادي عشر العدد (١٣) وما بعده: (فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً، لأنه لم يكن وقت التين، فأجاب يسوع وقال: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد وكان تلاميذه يسمعون).

(٣) في العدد (٢٠) من الإصحاح الحادي عشر من إنجيل مرقس: (وفي الصباح إذا كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول) ومن هذا الاختلاف في هامش (١ و٣) يثبت أن هناك خطأ في النقل، ومعه تثبت عدم عصمة الكتاب المنسوب واحتمال ورود الخطأ والباطل فيه، ومعه لا يصلح أن يكون حجة لله على العباد.

يكن موسم تين، فإذا كان شاعراً بذلك فكيف يتوقّع من الشجرة أن تعطيه ثمراً في [غير] أوانه، وإذا لم يكن يشعر بمثل ذلك فكيف أنتم تقدسونه وتجعلونه روح القدس بل ابن الله؟

ثالثاً: بأيّ وجه يلعن الشجرة عن عدم إعطائها الثمر؟ أكانت هي مختارة في ذلك أم قادرة على الإثمار وعدمه كلما أرادت واختارت؟(١)

بهذا وأمثاله من الاعتراضات كانت الشعبة الطبيعية من النصارى يغلّطون كتابهم المقدس ويبطلونه، وبالطبيعة والوجدان ترى أن تصديق ما ذكر فيه من الأحكام، وما درج فيه من الأقوال المزخرفة غير اللائقة لكل عاقل متأمل.

* * *

(١) إن قيل: ألم يكن الأولى لإثبات المعجز بدلاً من لعن الشجرة وإهلاكها أن يخرج لهم منها ثمراً جنياً كما كان مع أمه عليها السلام عند ولادته صلوات الله عليه.
قلنا: على تقدير صحة الخبر لا معنى لتحديد كيفية إثبات المعجزة.

المجلس الثاني عشر:

ومن جملة النقود الواردة على العهد الجديد عندهم نذكرها مجملاً: ففي خصوص صلب سيدنا المسيح عليه السلام قد سطر في العدد (٤٥) من الباب (٢٧) من إنجيل متى أنه: عمت الظلمة جميع الأرض من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة. وفي العدد (٥١) إلى العدد (٥٤) من نفس الباب أنه _ ودفعة واحدة _ مزق حجاب الهيكل... الخ.

ويقول هؤلاء المعترضون إن كل هذه المذكورات كذب وباطلة، لأنه إذا كان في الواقع قد عمت الظلمة جميع الأرض مدة ثلاث ساعات كان الواجب أن يذكرها المؤرخون من جميع الأمم في كتبهم، إذ لا بدّ لكل أحد أن يلتفت إلى ذلك لعدم خفائه وظهوره لكل عين، فكيف أن المؤرخين لم يدعوا حادثة من الحوادث قبل عيسى عليه السلام وبعده إلا وذكروها، وهي أصغر بكثير من هذا الحادث، وينسون هذا فلا يذكرونه، ولم يشيروا إليه وهو أمر عجيب غريب في تاريخ الإنسانية، وهكذا إذا كان هناك انشقاق قبور وخروج موتى، فلماذا لم يذكره المؤرخون ولاسيّما اليهود الذين كانوا هم حضور في واقعة الصلب وغيرها، وكانوا أيضاً كثيرين ولم يغفلوا عن ذكر أقل من هذا، فكيف أعرضوا عن مثل هذه الواقعة العجيبة العظيمة وأهملوها، بل ولم يؤشروا إليها بقليل أو

كثير؟ وعلى هذا فقد ظهر أن جميع تلك المذكورات لا أصل لها وإنما هي باطلة وكذب، وأيضاً من جملة تلك الإيرادات التي يوردها بعضهم على بعضهم هي أن في العدد (٢) من الباب (٥) من إنجيل مرقس إلى العدد (١٥) من نفس الباب قد ذكر أنه: لما خرج من السفينة... الخ. انتهى.

وأن عين هذه الواقعة أيضاً ذكرت في الباب (٨) من إنجيل متى وإنجيل لوقا على أن كذبها واضح وجلي من عدة جهات:

أوّلاً: إنّ بين الأناجيل الثلاثة اختلافاً ظاهراً، وهو أن إنجيل متى يصرح بأنه كان هناك مجنونان، ولكن مرقس ولوقا يذكران أنه مجنون واحد.[1]

ثانياً: إنّ اليهود لم يكن عندهم خنزير، لأن اعتقادهم يقضي بحرمته، إذاً فما ذكر في الأناجيل من أن عيسى عليه السلام أجاز للشياطين أن يدخلوا على قطيع الخنازير لا أصل له، وهو خلاف الواقع.[2]

ثالثاً: إنّه ما هو الداعي للسيد المسيح أن يأمر بالهجوم على قطيع الخنازير ليهلكها، مع أن النصارى يعتقدون أن عيسى عليه السلام خلل أكل لحومها، ولم يمنع من أكلها، إذاً فإن صح أمره بهلاكها

---

(١) قد يقال: أن مثل هذا الاختلاف لا يوجب الطعن في أصل الواقعة بل ربما يؤكدها فيما لو لم يتواطؤوا على الكذب لإمكان الجمع العرفي. أجل يوجب تعدد الأناجيل، قلنا: هذا يصح فيما لو صدر كلا الكلامين لا كما فيما نحن فيه.

(٢) الملازمة المدعاة غير واضحة.

فذلك منه إسراف وفعل جهل، وعلى هذا يظهر أن هذه الواقعة أيضاً كذب ولا صحة لها إلا أن يكون أصحاب الأناجيل قد رأوها في المنام ثمّ ذكرها في أناجيلهم.

فيا أيها المنصف المتجنب للعصبية والعناد، إذا كنت ممن يميز الحقّ من الباطل، وينظر إلى هذه الاعتراضات من الطبيعيين من النصارى أنفسهم، هل تراها واردة على المسلمين إن من تأمل في ذلك بأدنى شعور لم يجد لأي إيراد من هذا القبيل على المسلمين أبداً، لكنها واردة على أمثال هذه الكتب المجعولة التي ما أنزل الله بها من سلطان، مما يدل على بطلانها وكذبها وأنّها مجعولة مزورة، أترى أن شق القمر عند الإسلام مثل واقعة الظلمة وتوقف الشمس والقمر عند النصارى؟ كلا، فإن شق القمر متصور ومعقول في مدة دقيقة واحدة، ومن الممكن أن لا يراه إلا القليل لقصر المدة، ولاسيّما المنتظرون[١] له بطلبهم ذلك من النبي ﷺ لذلك لا تجد له ذكراً في تواريخ غير المسلمين الذين لم يلتفتوا إلى ذلك لسرعة حدوثه، وهذا غير توقف الشمس والقمر لمدة ثلاث ساعات، وهو حدث عظيم في العالم لا يمكن أن يخفى على أحد.

* * *

---

(١) أما غير المنتظر فيمكن للبعض الرؤية (مع قصر المدة) إلاّ أنهم لم يلتفتوا أو لم يحدّثوا أو لم يسجل للتاريخ قولهم.

[القول المختصر في معجزة شق القمر]

المجلس الثالث عشر:

ذكرنا آنفاً أن مسألة شق القمر غير قابلة الرد على المسلمين إجمالاً، والآن نود أن نبسط القول فيه مفصلاً فنقول:

أوّلاً: إن المسلمين لا يحتاجون في إثبات نبوة نبيهم محمّد ﷺ إلى شق القمر وغيره لأن إثبات نبوته ﷺ لا يعارضها الاعتراض على مثل شق القمر وأمثاله، لأن نبوته ﷺ ثابتة بكل علامة أو معجزة تثبت نبوة غيره من الرسل، بل ظهرت لديه بأكمل مما ظهرت لدى غيره من الأنبياء، ومن جملة العلامات المثبتة والمصدقة لدعواه أنه ﷺ لم يأخذ من أحد من الناس علماً أو حكمة البتة، وحتّى لم يمسك بيده قلماً أو قرطاسا طيلة حياته لأنه أمي لم يكتب، ولم يقرأ،[1] ومع ذلك فقد قرر وبيّن للمسلمين أحكاماً وتعاليم حكيمة مستقيمة صحيحة قويمة لاستقامة المعاد والمعاش، من كل جزئي وكلي منها على أمتن

(١) لم يعبر المصنف أنه ﷺ لم يعرف الكتابة والقراءة وإنما عبر لم يكتب ولم يقرأ وفي ذلك إشارة إلى أن النبي الأمّي لم يمارس الكتابة والقراءة لا أنه لم يستطع القراءة والكتابة.

استحكام وأتقن حكمة وأصح طريقة، كما هو ظاهر لدى الموافق والمخالف والعدو والمسلم، وهذا لا يكون إلاّ بتأييد الله تعالى وصدق دعواه.

ثانياً: إنّ مسألة شق القمر لا يكون إيراداً على المسلمين. إنّ المسلمين جميعهم يعتقدون أن هذا أمر وقع من حضرته ﷺ أما أن القمر بقي مدة على هيئة الانشقاق، أو أنه كانت له هيئة خاصة فلا أحد يعتقد بيقين ذلك، إذ لم يصل إلى حد التواتر. أما اعتراض أنه لماذا لم يسطر في الكتب، فذلك مردود من جهات:

أوّلاً: إنّه من الممكن أن يكون في أقصر مدة كثوان أو دقائق بمقدار ما يراه الناظرون الذين طلبوا ذلك من النبي ﷺ لذلك لم يطل الوقت حتّى يلتفت إليه كل أحد فيثبته المؤرخون في كتبهم كحادث تاريخي عظيم، وهذا خلاف الظلمة العظيمة التي تدوم مدة ثلاث ساعات، وتعم الأرض كلها من قاصيها إلى دانيها مع حياة كثير من الأموات.[1]

ثانياً: من الممكن أن عدم رؤية شق القمر لاختلاف الآفاق في الأرض، فلم يكن يراه إلا أهل أفقهم في مدة قصيرة، وهذا أيضاً بخلاف الظلمة الطويلة العامة بوجه الأرض.

---

(١) الأمر الغريب يسجل وإن قصرت مدته إلاّ أنه إذا كان محدوداً زماناً ومكاناً قد يغفل عنه. لاسيّما مع التسامح وعدم الاهتمام في النقل عندهم وعدم وجود سبل الاتصال مع البلدان الأخرى.

ثالثاً: من الممكن أنه كان في وقت عم السماء غيوم في ساير نقاط الأفق إلا في الحجاز في تلك الساعة فلم يره غيرهم.

رابعاً: من الممكن أن يكون الناس في حال انشقاق القمر، وفي الليل أكثرهم في المساكن غير ملتفتين إلى حادث سريع الحدوث، والذين هم في الخارج مشغولون غير ملتفتين إلى ذلك، لاسيّما والوقت ليل، ويحتمل أن تكون في السماء سحب تمنع الرؤية، والخلاصة أن المؤرخين غير المسلمين يمكن أن يكونوا قد اطلعوا على هذا الحادث لجهات كثيرة فلم يثبتوه في كتبهم، بخلاف الظلمة العامة المستمرة إلى ثلاث ساعات، فإنها لم تخفَ، ولم يمكن أن تخفى على كل إنسان، وهذا مما يبطل أقوال الكتاب المقدّس عند النصارى، ويثبت لدى العاقل المتأمل أنه مجعول وكذب وزور، ما أنزل الله به من سلطان.

وهنا ناسب أن نذكر لك اعتراضاً اعترضه نصراني على مسلم كان لديه ضيفاً فقال: إنّ النبي إنما يبعث للإصلاح لا للإفساد، وأن شق القمر الذي تعدّونه من جملة معاجز نبيكم هو من قبيل الإفساد لا الإصلاح، كما أن هذه الاختلافات في الأخبار والروايات عن شق القمر عندكم لا بدّ وأن تورث لديكم شكاً في صحة وقوعه لتضارب الأخبار فيه.

ونحن نجيبه عن الاعتراض الأوّل بقولنا:

أوّلاً: إنّ هذا الاعتراض عيناً يرد على توراتكم[1] في مسألة

---

(١) الأصح: إنجيلكم.

الظلمة العامة، فما تجيبون أنتم عنه، فنحن نجيبكم بمثل جوابكم في خصوص شق القمر.

ثانياً: إنّ الإصلاح والإفساد لا يرد إلاّ على ذي الروح عقلاً، لا على غير ذي الروح كالقمر وأشباهه، لأنه من الجمادات فلا يرد هذا الاعتراض، لكنه يرد على توراتكم[١] الذي يقول أن عيسى عليه السلام فرق قطيع الخنازير، وهي ذات أرواح كما تقدم لك آنفاً.

ثالثاً: لو تصورنا حصول الإصلاح والفساد في غير ذوات الأرواح، فلا يرد هذا الإيراد على شق القمر، إذ لم يبق على انشقاقه بل رجع بسرعة والتأم كما كان، وعادت الأمور على مجاريها.

أما الجواب عن الاعتراض الثاني فنقول: إنّ الاختلاف في الأخبار إذا كانت في كيفية الوقوع، فهي لم تكن في أصل الوقوع، ولا يلزم منها تكذيب أصل الانشقاق، كما أنك لو أخبرت بأن فلاناً خطب على المنبر، ولكن قد اختلفت الأخبار في كيفية صعوده المنبر، فهل هذا الاختلاف في كيفية صعوده يبطل ويكذب أصل صعوده، اللهم لا.

* * *

(١) الأصح: إنجيلكم.

[عود على بدء]

المجلس الرابع عشر:

ومن جملة عبارات العهد العتيق الدالة دلالة بديهية على كونها مجعولة، وإنها ليست من كلام الرب ومصلح البشرية هي عبارة في بداية الفصل (١١) من سفر التكوين إلى العدد (١٠) من ذلك الفصل، وهي هذه: أن الدنيا كلها كانت لساناً واحداً ولغة واحدة... الخ.[١]

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الحادي عشر العدد (١ - ١١): (وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقاً وغرباً أنهم وجدوا بقعة من أرض شنعار وسكنوا هناك، وقال بعضهم لبعض: هلم نصنع لبناً ونشويه شياً فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان اللبن، وقالوا: هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذين كانوا بنو آدم يبنونهما، وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتّى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة، ولذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض.

أما دلالة هذه العبارة على أنها مجعولة فواضحة من وجوه:

أوّلاً: أنها تثبت الجسمية لله تعالى، وأن بطلان الجسمية مسلّم لدى كل عاقل، ولا يحتاج ذلك إلى دليلٍ وبرهان.[١]

ثانياً: أنّها تثبت له تعالى صفة الجهل وهو العالم بكل شيء، كما تقدم في العدد الخامس تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثالثاً: أنّها تثبت له تعالى صفة خلف الوعد، وهي صفة خبيثة لا تنسب إلى القادر على الإطلاق بناء على ما وعد به في العدد (٢١) إلى آخر الفصل (٨) من نفس هذا السفر حيث يقول فيه: وإن الرب شم رائحة طيبة... الخ.

ومنها يثبت لله تعالى خلف الوعد، هذه الصفة التي لا تنسب إلى أيّ إنسان عاقل، فكيف لله تعالى جل شأنه؟

رابعاً: أن هذا العمل من الرب مما يوجب إيقاع النفاق

---

(١) الدليل العقلي قائم على بطلان الجسمية لأنه من لوازم الإمكان والله تعالى واجب الوجوب بالذات المنزه عن كل نقص وحاجة.

قد يقال بأنه يجاب بنظير ما يجاب عن آيات التجسيم عندنا.

وفيه أوّلاً: إن الآيات القرآنية بنفسها ليس فيها دلالة على التجسم وإنما هو خلط بين المفهوم والمصداق فمثلاً إن مصطلح اليد لا يراد منه العضو المعهود إلاّ على سبيل المصداق.

وثانياً: مع التنزل مظهورها في التجسم إلا أنه توجد قرائن تفسر المعنى فهو من المتشابه المقرون بالحكم وهذا بخلاف في الأناجيل فهو صريح في التجسم.

والخلاف بين بني البشر على أن اتحادهم لا يضره، وهو القادر على رفعهم بغير هذا النفاق والخلاف بينهم.

خامساً: أنّه متى علم وظهر أن هذا العمل وهو عدم اتفاقهم في اللغات عصيان الله، وفي كتاب من كتبكم أشير إلى أن أمثال هذه الأمور هي عصيان لله، بل إن صدور ذلك عقلاً من الله تعالى لغو لا طائل تحته ولا يمكن نسبته إلى الله تعالى، مضافاً إلى ذلك يستلزم أن تعذيب الله تعالى لعباده لكونهم لا يفهم بعضهم لغة البعض الآخر من دون إظهار معصية أخرى، أمر قبيح يوجب أن يكون الله يعمل عبثاً وظلماً ومرتكباً كل أمر قبيح، فينتج من كل هذا بطلان إرسال الرسل، وإنزال الكتب السماوية، ووجود الجنّة والنار وغير ذلك.

وحيث إنا التزمنا بالاختصار لا التطويل لذلك فلا حاجة لنا بتوضيح ما لا يخفى على كل ذي معرفة من أن الخالق وهو الكامل المطلق من جميع الوجوه لا يمكن أن يتصف بشيء من الأمور القبيحة والأعمال غير اللائقة، والآن بالله عليكم هل مثل هذه الكتب تصلح أن تكون مصلحة للبشر، أو أنها كتب سماوية نازلة عن الله تعالى، وإنها مقدسة في مثال القرآن الكريم المصلح للبشر والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.

* * *

المجلس الخامس عشر:

ومن جملة الأغلاط والخرافات الواقعة في كتب العهد القديم كلمات ذكرت في العدد (١٠) من الباب (١٣) من سفر الظهور إلى آخر ذلك الباب وهو قوله: حدث قحط في تلك الأرض... الخ.

فنقول: إنّ هذه القضية تحوي أغلاطاً وافتراءات كثيرة على الله وعلى رسوله.

أوّلاً: أنّها تستلزم أن يكون الله ظالماً، وأنه ابتلى فرعون وأهل بيته بأشد العذاب على أنهم كانوا يعلمون أن (سارا) هي زوجة إبراهيم عليه السلام.

ثانياً: أنها تستلزم أن يكون إبراهيم عليه السلام والعياذ بالله غير معتقد بقدرة الله تعالى، لأنه إذا كان معتقداً بقدرته كان يعلم بأن قدرته أعظم من [أن] لا تقدر على نجاة امرأة بسبب من الأسباب من فرعون وأتباعه، من دون أن يبتلي نبيه ويفضحه بعيوب كثيرة كدناءة الطبع وخسة الفطرة والنفس، وعدم الغيرة والناموس على عياله، حيث يدعه بيد سلطان مقتدر مدة مديدة، ويكون هذا العمل سبباً لإعراض الناس عن متابعته، فينتفي بذلك الغرض من إرساله من الله رسولاً ونبياً.

ثالثاً: أنها تستلزم أن يكون إبراهيم عليه السلام عابداً لدنياه، تابعاً لهواه، وأنه ارتكب عدة قبائح لأجل جمع المال لأنه:

أ ـ كذب على فرعون.

ب ـ ظلم زوجته سارا بجعله لها مدة مديدة في دار أجنبي، وهي نفس محترمة، فإن لم تمس بسوء فقد كانت في محل تهمة وبيت وصمة لا يبريها العدو من الفاحشة.

جـ ـ ظلمه لملك مصر فرعون وأهل بيته، إذ لم يطلعهم على حقيقة الأمر، حتّى وقعوا في بلاء الله وعذابه، هذه هي عيوب هذه الكلمات والعبارات المذكورة في توراتهم، وكل عبارة من هذه العبارات وحدها تدل على أنها مجعولة وباطلة، وأن الكتاب كله زور وكذب وجعل وموضوع وأن الله بريء من واضعه.(١)

---

(١) يقول النص التوراتي في سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر العدد (١٠) وما بعده: (وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إن قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته فيقتلوني ويستبقوك، قولي أنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك، فحدث لما دخل إبرام إلى مصر إن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبراهيم خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لما قلت هي أختي حتّى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوحى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له).

[ما يجدر بالمسلمين فعله]

المجلس السادس عشر:

يجدر بالمسلمين في مثل هذه الأيام أن يعترضوا على النصارى بقولهم: لماذا أنتم أيها النصارى لا تختنون، والحال أنه في مواضع متعددة من كتابكم الذي تقدسونه وتعظمونه في وصف الختان، وهو يدل دلالة صريحة على أنه حكم من الأحكام الشرعية، وعهد من العهود الداعية الدائمية التي لا يجوز تركها، وإنّ تاركها غير فائز، كما في العدد (٩) الباب (١٧) من سفر الظهور إلى (١٥) من نفس الباب المذكور، فقد قال الله لإبراهيم عليه السلام: أما عهدي فاحفظه، وبعدك فليبق هذا العهد في ذريّتك ونسلها بيني وبينكم أن يختن كل ذكر منهم، فإن ختان لحمة القلفه لتكن علامة العهد بيني وبينكم. وكل ذكر مختون هو حافظ للعهد، وكل ذكر غير مختون منقطع عن قومه، لأنه قد نكث عهدي،(١) وفي العدد (٢٤) في نفس الباب المذكور إلى آخر الباب مكتوب: أن إبراهيم عليه السلام ختن في ذلك اليوم ولده إسماعيل، وكل ذكر من عائلته ومماليكه، كما كان قد أمره الله وقد كان عمر إبراهيم حين ختن (٩٩)

---

(١) هناك تفاوت في الألفاظ بين المثبت هنا والنص التوراتي في سفر التكوين لعله ناشيء من الاختلاف في الترجمة، إلاّ أن المعنى واحد.

وابنه (١٣) وكلاهما اختتنا وقصت قلفتهما في يوم واحد، وكذلك كل من كان في داره من الذكور، وكذلك في العدد (٣) الباب (١٢) من سفر الأديان والعدد (٢٢) من الباب (٧) من إنجيل يوحنا، والعدد (٨) الباب (٧) من أعمال الرسل، وقد احترزنا في نقل عباراتها خوفاً من الإطناب، ولكن لا يخفى على أهل النظر أنها كلها تدل على وجوب الختان، وأنه لا يجوز لأحد نسخ هذا الحكم، أو الحكم بخلافه. ومن العجب العجاب أن جماعة النصارى هم يذكرون أن (بولس) غيّر هذا الحكم، وخالف بطرس في هذا المقام قائلاً: إنكم إذا ختنتم فإن المسيح لا ينفعكم، وكل من ختن كان مديناً بأن يعمل كل أوامر الشريعة، كما ذكر في الباب (٢) و(٥) من رسالة (بولس إلى أهل رومية) غافلين عنه أن هذا العقد لا معنى له، بل هو عذر أقبح من الذنب، لأنه مضافاً إلى أنه لا يدفع اعتراض المسلمين، يوضح بجلاء بطلان رسالة بولس لمخالفة الواقع لأنه:

أوّلاً: لأن الختان كما ذكر كان عهداً دائمياً، والعهد الدائمي لا ينسخ البتة.

ثانياً: إنّ المسيح لم يكن صاحب شرع جديد لينسخ أحكام الشرع المتقدم عليه كما في (١٧) من الباب (٥) من إنجيل متى إلى العدد (٢٠) منه، فقد قال: أتظنون إني أتيت لأبطل التوراة وصحف الأنبياء عليهم السلام؟ لا، بل جئت لأتمم تلك الشرائع، لأني أقول دائماً: ما دامت السماوات والأرض فإنه لا تزول من التوراة نقطة ولا همزة حتّى تقع جميعها، إذاً فكل من يغيّر أصغر حكم

ثمّ يعلمه الناس فإنه يعد صغيراً في ملكوت السماوات، ومن يعمل بما فيها ويعلمها يعد كبيراً فيها، ويقول في إنجيل لوقا في عدد (١٧) باب (١٦) أن زوال السماوات والأرض أسهل من أن تسقط نقطة من التوراة.(١)

ثالثاً: إنّ النسخ لا يكون إلاّ على يد النبي، ولا يجري إلا بواسطته لا بيد غيره، ولو كان من الحواريين. ولو سلمنا أن الحواريين يمكنهم إجراء النسخ ولكن (بولس) لم يكن من الحواريين، كما صرح هو بنفسه في رسالته أنه كان يهودياً وكان متعصباً في دينه، وبعد أن تنصر لم يحظَ بخدمة المسيح، بل ولم يدرك أي واحد من الحواريين غير أنه رأى يعقوب، وعاش زمناً قصيراً مع بطرس، وفي إنجيل متى في أوّل الباب العاشر صرح بأسماء الحواريين، ولم يذكره معهم أبداً، فعلى قوله وحسب تصريح الإنجيل يعلم أنه لم يكن من الحواريين، لأن مخالفته لهم دليل على بطلان قوله فكيف إذاً يعتمد على قوله في قبال قول بطرس الحواري، ويطرح قول بطرس المعتمد؟(٢)

ومن كل ما ذكر يعلم أن عدم اختتان البطارس مخالفة لدينهم،

---

(١) إن قيل: هذا الكلام يتنافى مع الآية الكريمة: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فالآية تدل على أن المسيح يحلل بعض ما هو محرم في التوراة.

قلنا: الآية لعلها تدل على المسيح يحلل بعض ما هو محرم عند يهود لا ما هو الثابت في التوراة وفرق بينهما.

(٢) أنظر أضواء على المسيحية: ص ٨٤ وما بعدها.

وتسامح منهم في إجراء أحكام شريعتهم وقوانين دينهم ومقررات مذهبهم. ولا يقال إن المراد من الختان _ الذي عهد به الله إلى إبراهيم وذريته عهداً دائمياً، وذكر في ساير المواضع بعنوان الختان الواقعي _ هو ترك مشتهيات النفس فقط، ولم يرد الله الختان الظاهري كما قاله بولس، حيث أراد بقوله ذلك إجراء الختان الظاهري لا الختان الواقعي أعني ترك مشتهيات النفس الأمارة بالسوء، أما النفس فأعطوها ما تريد، وألقوا عنانها على غاربها، ذلك لأن الختان الظاهري لا أثر له، ولا نتيجة خير يتوقع منه.

فإن هذا التوجيه خيالي ظاهر الفساد، وكلام ناشئ عن العناد، لأن الختان في الموقع المذكور لا يمكن حمله على المعنى المذكور، كيف يمكن ذلك والحال أن العبارة هي: اختن لحمة المغلفة، ليكون عهدي بلحمكم عهداً دائمياً،[١] وأمثال ذلك، وكلها لا تحتمل الختان الواقعي، أعني كف النفس، على أن الطفل الذي عمره ثمانية أيام لا يتصور فيه الشهوة حتّى يؤمر بإطفائها، وعلى هذا فلا وجه لمخالفة بولس لبطرس، لأن بولس على موجب ذلك الغرض المذكور كان قد ذكر عين الواقع كما ذكر بطرس، إذاً فلا خلاف بينهما والحال أن هذا هو خلاف قول بولس نفسه، كما في الباب (٢) من رسالة أغلاطيان،[٢] كما سلف

(١) سفر التكوين الإصحاح السابع عشر العدد (١٣).

(٢) رسالة بولس الهول إلى أهل أغلاطية الإصحاح الثاني.

ذكره. دع كل هذا، فإن هناك لازماً باطلاً آخر وهو أن إبراهيم عليه السلام يلزم أن يكون مع تلك الجلالة والمنزلة الرفيعة، ومع بلوغه التسعين من عمره تابعاً لشهواته النفسية. وعندما بلغ التاسعة والتسعين من عمره اجتنب الناس وتحرز منهم، ولكن ابنه إسماعيل الذي هو أقل منه مرتبة وأهبط منزلة فاق على أبيه إذ اختتن ختاناً واقعياً وخالف شهواته النفسية وهو في الثالثة عشر من عمره وهو أمر لا يعقل.

* * *

المجلس السابع عشر:

... إلى هنا ترجمة المرحوم الشيخ مرزا محمّد الشيخ صادق الخليلي وباقي الكتاب فُقد ولم نعثر عليه.(١)

* * *

---

(١) من الناسخ.

فهرست الموضوعات

مقدمة المؤسسة ٣
ترجمة المؤلف قدس سره ٥
أساتذته ٨
تراثه العلمي ٨
شكر وتقديم ٩
مقدمة المؤلف ١٥
المجلس الأوّل: تمهيدٌ فيه تنبيه ٢١
المجلس الثاني: المحجة في إثبات الحجة ٢٧
المجلس الثالث: الشهود على بطلان حجج اليهود ٣٧
المجلس الرابع: نادرة فيها فائدة ٤١
المجلس الخامس: البرهان على حجية القرآن ٤٥
المجلس السادس: الإيجاز في إثبات الإعجاز ٥١
المجلس السابع: الشافية في إبطال الدعاوى الواهية ٥٩
المجلس الثامن: فيما وقع في التوراة والإنجيل من الأغلاط ٦٥
المجلس التاسع: التدقيق في بيان أغلاط العهد العتيق ٧١
المجلس العاشر: التقولات المذكورة في الكلمات المسطورة ٧٧

المجلس الحادي عشر: خلاصة الرد على بطلان ما ورد ٨٣
المجلس الثاني عشر: التصحيح في الرد على صاحب السيد المسيح ٨٩
المجلس الثالث عشر: القول المختصر في معجزة شق القمر ٩٣
المجلس الرابع عشر: عودٌ على بدء ٩٧
المجلس الخامس عشر: الجليل فيما لفقوه على الخليل..................... ١٠١
المجلس السادس عشر: ما يجدر بالمسلمين فعلهُ........................... ١٠٣
المجلس السابع عشر ١٠٧
فهرست الموضوعات... ١٠٩

* * *